الرسل النبيّون
في
الكتاب المكنون

الدكتور نوح مصطفى الفقير

قال الله تعالى:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ}

سورة غافر ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، منزّل القرآن، المحفوظِ المصون، الحيّ القيوم، الرحمن الرحيم، الهادي الباقي؛ مهما تجددت الأيام والليالي، وتعاقبت السنون، الخبيرِ بما يسرّون وما يعلنون؛ القائل سبحانه: {يُنَزِّلُ المَلآئِكَة بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أنْ أنذِرُواْ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أنَاْ فاتَّقُونِ}[1]، والصلاة والسلام على النبي الأمين؛ الخاتم المأمون، وعلى سائر إخوانه الرسل والنبيين، وهم المقرّبون المعصومون، الذين دعوا إلى الله وهم صابرون محتسبون، متوسمون، مخلصون، مسبّحون، مؤيدون؛ قال تعالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ إنَّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُونَ}[2]، وهم بالمؤمنين حفيّون، ومن خشية ربهم مشفقون.

والسلام على أتباع الرسالات، {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بالغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ}[3]، وهم المؤمنون المهتدون المحسنون، {أوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[4]، وهم من فزع يوم القيامة آمنون.

وبعد؛

فقد آثرت جمع لآلئ سيرة المرسلين من بين آيات الكتاب المكنون؛ لتكون أوصافهم نبراساً يهتدي به السائرون، وأنموذجاً يقتدي به المقتدون، لعلهم يفلحون، ويفوزون.

وبدأت بمن خلقه الله تعالى من حمأ مسنون؛ وثنيت بإدريس وبعده نوح؛ وهو مع أتباعه في السفينة ناجون، ثم أتبعتهم بهود، وبصالح، وبإبراهيم أبي الأنبياء الباقين، وبلوطٍ الذي أتباعه أناس يتطهرون، فأخذتْ أعداءهم الصيحةُ وهم مشرقون، وعقبت بإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وشعيب الذي أرسل إلى أصحاب الأيكة والمؤتفكات، وبأيوب وذي الكفل وموسى رسول قوم فرعون، وبأخيه هارون، وبإلياس واليسع وهم بالحق ينطقون، وبداود وسليمان وبيونس ذي النون، وزكريا ويحيى، وعيسى الذي {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

---

١. النحل ٢.
٢. الصافات ١٧١-١٧٢.
٣. الأنبياء ٤٩.
٤. المؤمنون ٦١.

فَيَكُونُ}[1]، وختمت الحديث عن خاتم النبيين، الذي يسبح بحمد ربّه؛ كما سبّح وحمد سائر السابقين في السماء والأرض وهم مؤمنون مخبتون، {قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[2] .

أولئك الشهداء المقربون؛ الذين يؤذن لهم أن يشهدوا، ولا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كفرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ.

وأنبياء الله من الخطأ معصومون، ومن العذاب محميّون؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}[3]، وقالوا لأقوامهم: {آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[4].

إن الكفار عادون وفي غفلة معرضون، وبالرسل يكادون يسطون {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}[5]، أتتهم الرسل {تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ}[6]، {وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ}[7]، وهم للحق كارهون كالحون.

أما المؤمنون بالله ورسله فإلى الله يتضرعون، يتأملون ويأملون في قوله سبحانه تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[8]، أولئك هم الفائزون المضعفون.

أما هذا الكتيب فهو جامع لأسماء الأنبياء المذكورين في القرآن؛ ذكرت فيه اسم كل نبي، ورسالته، وقومه، ودعوته، وسمّيته (الرسل النبيّون في الكتاب المكنون) .

ولن أبرح حتى أذكر أنني لن أفيَ رسل الله حقهم، ولكن المجتهد بين الأجرين يدور؛ سواء أصاب أم أخطأ.

{وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[9] .

---

١. آل عمران ٥٩.
٢. الأنبياء ١١٢.
٣. الأنبياء ١٠١.
٤. العنكبوت ٤٦.
٥. الأنبياء ٢.
٦. المؤمنون ٤٤.
٧. المؤمنون ٧٤.
٨. الأنبياء ١٠٥.
٩. الصافات ١٨١-١٨٢.

رسول الله آدم
عليه الصلاة والسلام

آدم عليه السلام؛ أبو البشر الأول، سُمّي بذلك لكون جسده من أديم الأرض، أي: من وجه الأديم، وقيل: لسُمرة في لون آدم، وقيل: لِما به من الروح المنفوخ فيه، ومنه الإدام، وهو ما يطيب به الطعام[1].

وردت كلمة (آدم) خمساً وعشرين مرة في القرآن الكريم، وعُرضت قصته في سور قرآنية كثيرة، وأكثر قصته في سور البقرة والأعراف وطه، وبذكر قصته عليه السلام في القرآن بشكل صريح واضح؛ لا يحتمل التأويل؛ لم يبق مجال لإيراد تكهنات وتخيلات وفرضيات حول بداية وجود الإنسان على هذه الأرض، التي سخرها الله له، وكشف له عن الكنوز والقوى والطاقات الكامنة فيها.

وهو أول رسول للبشر، بل هو أول مخلوق بشر، وأدلة رسالته كثيرة؛ منها:

أولاً: قول الله تعالى: {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}[2]، والاصطفاء مع سائر المرسلين المذكورين معه يعني أنه رسول مثلهم.

ثانياً: قول الله تعالى: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}[3].

ثالثاً: قوله تعالى في سياق قصته: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[4].

رابعاً: قوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ}[5]؛ فلم يَدَع الله أمة منعزلة تتيه في ضلالها وغيّها، والأحرى بأول أمة إنسانية أن يكون آدم رسولاً لهم؛ فهو والدهم، وهو المكلم من قِبل الله تعالى.

جعله الله خليفة في الأرض، يَخلف الجن الذين سكنوا الأرض قبله، أو جعل الله ذريته يَخلف بعضهم بعضاً، كما قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ}[6]، ولكن هذا الاستخلاف أثار استغراب الملائكة؛ لأنهم بفطرتهم البريئة لا يتصورون إلا الخير المطلق، فلما قال لهم: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}[7] سألوا سؤال استكشاف واستعلام ـ وحاشا أن يكون اعتراضاً-: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}[8]، وإنما ظنت الملائكة أن من صفات المخلوق الجديد سفك الدم؛ وهذه سابقة في الأرض، أو أن الله أخبرهم بما سيكون من حال آدم وذريته، إذ لا مخلوق ذي دم قبله، وهذه الحيرة والدهشة جائزة على الملائكة؛ لأنهم لا يعلمون الغيب، ولا يدركون حكمة كل خلق، ولذلك أخبرهم الله سبحانه مجيباً على سؤالهم، ومزيلاً لدهشتهم؛ فقال تعالى: {إِنِّي أَعْلَمُ

---

١. الراغب الأصفهاني المفردات ، الحسين بن محمد، دار المعرفة ، بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص ١٤
٢. سورة آل عمران ٣٣.
٣. سورة البقرة ٣٨ .
٤. سورة طه ١٢٢.
٥. سورة فاطر ٢٤.
٦. سورة الأنعام ١٦٥.
٧. سورة البقرة ٣٠.
٨. سورة البقرة ٣٠ .

مَا لا تَعْلمُونَ} أي: أعلم انطواء نفس إبليس على الكبر[1]، أو أعلمَ علم الشمول لحال آدم وذريته، وتقلبهم بين الإصلاح والإفساد، والعبادة والخمول والعناد، إذ ليس سفك الدم من صفاته المستمرة، فقد يحقن حيناً الدماء، وحيناً آخر يتوب ويعبد إله الأرض والسماء، فيكون من وراء الشر الجزئي الظاهر خير أكبر وأشمل، وهو بناء الأرض وعمارتها وتطويرها وترقيتها على يد خليفة، جعله الله في الأرض، ولعل هذه هي الحكمة التي خفيت على الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون.

ولقد شرّف الله آدم عليه السلام فخصه بخمس خصال هي:

أولاً: خلقه بيده الكريمة من طين، وصيّره بقدرته كالحمإ المسنون، ثم كالفخار؛ قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}[2]، وقال الله تعالى في وصفه : {لِمَا خَلقتُ بِيَدَيّ}[3]، وسوّاه الله ونفخ فيه من روحه، فجاء في أحسن تقويم.

ثانياً: أمر الملائكة بالسجود له إذا تمّ خلقه؛ قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الكَافِرِينَ}[4]، والسجود هنا هو الانحناء احتراماً وإكراماً، لا عبادة وتعظيماً، أو المراد بالسجود اتخاذه قِبلة لسجودهم؛ لأن السجود لا يكون إلا لله، وأطاعت الملائكة، وعصى إبليس، وتعزز بأصله، وراح يتكبر، وطغى وبغى، وما فتئ يتذرع بطاعته لله، وعبادته له، ووبّخه الله تعالى؛ إذ {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلقتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلقتَهُ مِن طِينٍ}[5]، قال الله تعالى: {يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ العَالِينَ}[6]،وأخذ يحتج بأن الله خلقه من النار، التي هي خير من التراب الذي خلق منه آدم، وقال: {أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلقتَ طِينًا}[7]، وهذا دليل على أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، وإنما كان معهم، فلو كان منهم ما عصى؛ لأن صفتهم الأولى أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولكن إبليس عصى، فأهبطه الله من السماء إلى الأرض بسبب تكبره واستعلائه؛ قال تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنهَا فَمَا يَكُونُ لكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنْ الصَّاغِرِينَ}[8]، حينئذ التمس إبليس التأخير، {قَالَ أَنظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[9]، فأمهله الله سبحانه؛ {قَالَ إِنَّكَ مِنْ المُنظَرِينَ}[10]، فتوعد إبليس المؤمنين؛ {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}.

---

١. ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت. ط٢ ،١٩٦٧، مجلد١ ص ١٧
٢. سورة الحجر ٢٨.
٣. سورة ص ٧٥-٧٦.
٤. سورة ص٧١-٧٤.
٥. سورة الأعراف ١٢.
٦. سورة ص ٧٥-٧٦.
٧. سورة الإسراء ٦١.
٨. سورة الأعراف ١٣.
٩. سورة الأعراف ١٤.
١٠. سورة الأعراف ١٥.

وظلّ يكابر ويعاند، ويدّعي أنه أقوى من آدم وخير منه؛ {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً}[1]، فتوعده الله بجهنم له ولمن تبعه؛ {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ}[2]، ولكن لم يمنعه الله من دخول الجنة على جهة الوسوسة والإغراء.

ثالثاً: علمه الله الأسماء التي يتعارف بها الناس، وزرع في نفسه العواطف والميول، وأودع السرّ الإلهي العظيم لهذا الكائن البشري، ولما عجزت الملائكة عن معرفة الأسماء التي علمها آدمَ بعد أن تحداهم، أنبأهم آدمُ عليه السلام بأسمائهم، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}[3].

رابعاً: أسكنه الله الجنة[4]، ووسّع له فيها عيشه، وآمن فيها إقامته، وعهد إليه أن يتنعم فيها إلا شجرة بعينها، وأن يأكل ويشرب من الجنة رغداً، والرغد هو العيش الهنيء الذي لا عناء فيه[5]، قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ}[6]، وحذره من وسوسة إبليس، وبدأ الصراع على مفرق الطريق، والشجرة رمز المحظور، والإرادة سلاح آدم عليه السلام، والغواية سلاح إبليس، وكان الإذن من الله سبحانه وتعالى بانطلاق المعركة بين الإنسان والشيطان إلى آخر الزمان، {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ}[7]، ولم يثنه الوعيد المؤجل عن مواصلة الوسوسة؛ {قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى}[8]، ولقد ظلت البشرية عرضة للشهوات ووساوس الشياطين من ذلك الحين.

لقد انتقل إبليس ـ إذن ـ من الوسوسة إلى الإلقاء مشافهة، كما يدل اللفظ القرآني صراحة فاعترى آدم النسيان، وهو الذي يعتري كل البشر؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}[9]، {فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

---

١. سورة الإسراء ٦٢.
٢. سورة الأعراف ١٨.
٣. سورة البقرة ٣١-٣٢.
٤. قد يراد بالجنة البستان؛ وليس الجنة الحقيقية، لأن الجنة ليس فيها تكليف، ولا يمكن للشيطان دخولها.
٥. القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القران، دار الكتاب ، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧، مجلد١، ص ٣٠٣.
٦. سورة الأعراف ١٩.
٧. سورة الأعراف ٢١.
٨. سورة طه ٢٠.
٩. سورة طه ١١٥.

سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[1]، فخالف النهي، وكانت المخالفة سهواً ناسياً، أو أنه عليه السلام تأوّل؛ فلم يتعمّد المعصية؛ {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[2]، وكانت التوبة هي النتيجة والثمرة؛ {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[3].

لقد تلقى آدم عليه السلام الكلمات واستقبلها بالقبول والعمل، وأما الكلمات فهي ما ورد في قوله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[4]، وإنما ترجح هذا القول رغم كثرة الأقوال لأنه ورد في سورة الأعراف بعد قصة آدم مباشرة، فدلّ على الارتباط، وانتظام السياق، وتوجهه إلى جهة واحدة، وأما الإجابة على ما يدور في خلد الناس من تحميل آدم عليه السلام نتيجة الإخراج من الجنة فمدارها على الحديث الصحيح؛ أن أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)، متفق عليه[5]، فلو قال قائل: لم كل هذا؟ ولم كانت الشجرة والوسوسة؟ أجيب: إنها التربية للخليقة، فلقد كانت إيقاظاً للقوى المذخورة في جنباته، وتدريباً على تجنب الغواية، وتذوّق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الآمن؛ إلى الله تعالى.

أختلف في عمر آدم والراجح أنه ألف سنة، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: (أول من جحد آدم- قالها ثلاث مرات- إن الله لما خلقه مسح ظهره، فأخرج ذريته فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، قال: أي ربّ من هذا؟ قال: ابنك داود، قال: كم عمره؟ قال: ستون، قال: أي ربّ زد في عمره، قال: لا إلا أن تزيده أنت من عمرك، فزاده أربعين سنة من عمره، فكتب الله عليه كتاباً، وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه قال: بقي من أجلي أربعون! فقيل له: إنك جعلته لابنك داود، قال: فجحد، قال: فأخرج الله عز وجلّ الكتاب، وأقام عليه البيّنة، فأتمها لداود مائة سنة، وأتمها لآدم عمره ألف سنة)[6]، والحديث وإن كان فيه نكارة[7] لكنه يقبل في مثل الأعمار والسنوات.

---

١. سورة طه ١٢١.
٢. سورة طه ١٢٢.
٣. سورة البقرة ٣٧.
٤. سورة الأعراف ٢٣.
٥. صحيح البخاري أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٥٧، صحيح مسلم، القدر حديث رقم ٤٧٩٣.
٦. رواه الإمام أحمد في المسند، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، مجلد١، ص٢٥١.
٧. قاله ابن كثير، إسماعيل بن عمر، في البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط١ ،١٩٦٦ المجلد الأول، ص٨٩ .

رسول الله إدريس
عليه الصلاة والسلام

رسول الله إدريس عليه السلام هو النبي الثاني بعد آدم عليه الصلاة والسلام، واسمه أخنوخ[١]، وسمي بإدريس لكثرة دراسته للكتب السماوية وما فيها من الحكم والأحكام، واختلف في اللفظ؛ فقيل: عربي؛ وقيل: سرياني[٢].

ذكر عليه السلام مرتين في القرآن، الأول في قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ}[٣]، والثاني في قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ}[٤]، فهو من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم؛ أي: يجب اعتقاد نبوته ورسالته على سبيل القطع والجزم؛ لأن القرآن قد ذكره باسمه.

وهو من نسل شيث بن آدم، وبينه وبين آدم خمسة آباء، ولد في بابل من أرض العراق، وترعرع في أسرةٍ كريمة الحسب والنسب، فتعلم على أجداده، وهو جد نوح عليه السلام[٥]، وفي البخاري[٦]: (يُذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس)، ولم يجزم به البخاري[٧]، والظاهر أن إلياس عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام لقوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ}[٨]، أما قوله تعالى في إدريس عليه السلام: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}[٩]؛ ففسره النبي ﷺ في حديث الإسراء الطويل، وفيه: (ثُمّ عَرَجَ بنا إلى السّمَاءِ الرّابعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلاَمُ، قِيلَ: مَنْ هَذا قالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنا فإِذا أنا بإِدْرِيسَ، فَرَحّبَ وَدَعَا لِي بخَيْرٍ) رواه مسلم[١٠]، وفي البخاري[١١]: (فلمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بالنَّبِيِّ ﷺ بإِدْرِيسَ قَالَ مَرْحَبًا بالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ فقلتُ مَنْ هَذا قالَ هَذا إِدْرِيسُ).

---

١. اختلف في ضبطه، وبعضهم يرى أنه بغير ألف بوزن ثمود؛ ابن منظور، لسان العرب، مجلد ٦ ، ص ٧٩.
٢. ابن حجر، احمد بن علي، فتح الباري، المطبعة السلفية، مجلد ٦، ص ٣٧٣.
٣. سورة مريم٥٦-٥٨.
٤. سورة الأنبياء ٨٥.
٥. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام رقم ٥ .
٦. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب رقم ٤.
٧ . قال ابن كثير: (استأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الإسراء أنه لما مر به عليه السلام، قال له: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قالوا: فلو كان في عمود نسبه لقال كما قال له، وهذا يدل، ولا بد؛ لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيداً أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع).انظر البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد ١ ، ص ١٠٠.
٨. سورة الأنعام ٨٤-٨٥.
٩. سورة مريم ٥٧.
١٠. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله الخ، حديث رقم ٢٣٤.
١١. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس، حديث رقم ٣٣٤٢.

فهو عليه السلام في السماء الرابعة، وهو مكان عليّ بلا شك، والاختلاف هل رُفع إليها وهو حي أو بعد وفاته شأن الأنبياء؟ وليس في ذلك نص صحيح، ولا حاجة للبحث فيه.

يُروى أنّ إدريس عليه السلام كان رجلاً مديد القامة، حسن الوجه، براق العينين أكحلهما، كث اللحية، كثير الصمت، قليل الكلام، كثير التفكير محتسباً صبوراً؛ يدل على صبره قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ}[1].

أثنى الله سبحانه تعالى على إدريس ووصفه بالنبوة والصديقية؛ قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}[2].

وهو أول بني شيث بن آدم أعطي النبوة، وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ، وذكر المؤرخون[3] أنه أول من خط بالقلم، ويذكر إنه أول من خاط الثياب بالإبرة ودرزها، وقد كان الناس قبله يلبسون جلود الحيوانات التي يصطادونها أو يقتلونها، وهو أول من نظر في النجوم والحساب، وقد أدرك من حياة آدم ما ينوف عن ثلاثمائة سنة.

أنزل الله على نبي الله إدريس ثلاثين صحيفة، وهو أول من جاهد في سبيل الله، ودعا قومه، ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله، ومعصية الشيطان، وأن يجتنبوا ولد قابيل بسبب قتل قابيل لأخيه هابيل، والظاهر أن نسل قابيل ساروا على طريق والدهم، ولذلك اندثروا، فكل ذرية آدم من شيث.

أرسله الله تعالى إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمع له علم الماضين وزاده، عاش ثلاثمائة وخمسين عاماً، ورفع إلى السماء الرابعة، لا ندري حين رفع كان حياً أم ميتاً، والله أعلم.

---

١. سورة الأنبياء ٨٥.
٢. سورة مريم٥٦-٥٨.
٣. انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد الأول، ص٩٩.

رسول الله نوح
عليه الصلاة والسلام

رسول الله نوح بن لمك[1] ، حفيد إدريس عليه السلام، وبُعث بعده، أو هو ابن حفيده، يقال: كان بينه وبين آدم عشرة قرون[2]، وهو أول أولي العزم، ومعه إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وردت كلمة نوح في القرآن ثلاثاً وأربعين مرة في ثمان وعشرين سورة، وسميت سورة في القرآن باسمه.

هداه الله تعالى للخير والرشاد مع الأخيار المصطفين، قال الله تعالى: {وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[3]، ومدحه الله تعالى فقال: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}[4]، ومنحه الله ذرية باقية وأكرمه بالسلام في العالمين، فقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ}[5].

إن أدلة رسالته كثيرة، منها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}[6]، وقوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ}[7].

أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض حين عُبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، وكان يقال لقومه: بنو راسب[8] .

وأشكل على بعضهم ما ورد في حديث الشفاعة، إذ عندما يجمع الله الناس يوم القيامة، فيرجون شفاعة الأنبياء، فيعتذرون، فإذا أتوا نوحاً عليه السلام وصفوه بأنه أول الرسل، ففي الحديث الشريف: (فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسِي نَفْسِي ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ) رواه البخاري[9].

وحلّ الإشكال صاحب فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ فقال: (فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبياً، وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعةٍ من العبادة، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا هو رسول إليهم، فيكون هو أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيّدة بقولهم: (إلى أهل الأرض)؛ لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل؛ لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد انه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم، مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط،

---

1. كذا ضبطه ابن حجر في فتح الباري، مرجع سابق، المجلد٦ ، ص ٣٧٢.
2. ابن كثير ، إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد١ ص ١٠١.
3. سورة الأنعام ٨٤.
4. سورة الإسراء٣.
5. سورة الصافات ٧٧-٧٩.
6. سورة آل عمران ٣٣.
7. سورة النساء ١٦٣.
8. المرجع السابق نفسه والصفحة .
9. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٣٤٠.

وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة)[1]، والظاهر أن رسالة نوح عليه السلام كانت أعم من رسالة آدم عليه السلام من جهة أن الثانية كانت مختصة به وببنيه، وأما نوح عليه السلام فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وذلك حين عبدت الأصنام والطواغيت، وانتشرت الضلالة، وعمّ الكفر.

ولما نهاهم نوح عليه السلام عن عبادتها تعلقوا بها أكثر، {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا}[2]، ولبث نوح عليه السلام في الدعوة تسعمائة وخمسين عاماً، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}[3]، فكذبوه وهم يعلمون أنه عبدالله ورسوله، قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}[4]، ثم تمادى أشراف قومه؛ {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}[5]، ولذلك أمروه بطرد الضعفاء، فردّ عليهم، وأنكر صنيعهم، وقبّح فعلهم، فقال: {وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}[6]، وتوعدهم بالعذاب إن هم أصروا على تكذيبه ومجادلته، فأصروا وكذبوا، {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[7]، ولا شك أن نوحاً صادق؛ كدأب الأنبياء أمناء الوحي، ولكنه لا يملك إرسال العذاب {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ}[8].

لقد أبتلي رسول الله نوح عليه السلام بعناد قومه، حتى شاركت أسرته فكفرت امرأته، وخالفه ولده، أما امرأته فضرب الله مثلها بقوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}[9].

والخلاصة أن القوم استصغروه وهددوه؛ {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمَرْجُومِينَ}[10]، حينئذٍ {قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا}[11]، وقدّم نوح عليه السلام عذره؛ {قَالَ رَبِّ إِنِّي

---

١. ابن حجر، احمد بن علي، فتح الباري، مرجع سابق، مجلد ٦، ص ٣٧٢.
٢. سورة نوح ٢٣-٢٤.
٣. سورة العنكبوت ١٤.
٤. سورة القمر٩.
٥. سورة هود ٢٧.
٦. سورة هود ٢٩-٣١.
٧. سورة هود ٣٢.
٨. سورة هود ٣٣.
٩. سورة التحريم ١٠.
١٠. سورة الشعراء ١١٦.
١١. سورة نوح ٢١-٢٢.

دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}[1]، وما زال يطمع بإيمانهم إلى أن اخبره الله بالوحي عن حقيقة مآلهم وأنه لا أمل في إسلامهم، {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[2]، آنذاك دعا نوح عليه السلام عليهم قائلاً: {رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا}[3]، فأجابه الله، وهو نعم المجيب فقال سبحانه: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ}[4]، وكانت الإجابة والنصرة؛ إذ قال تعالى له: {وَاصْنَعْ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}[5]، فأتى أمر الله وانفجر الماء من الأرض، ونبع حتى من تنور الخبز، وانفتحت أبواب السماء بالمطر والتقى الماء على أمر قد قدر، قال تعالى: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}[6]، أما السفينة ذات الألواح والدُّسر[7]، فكانت تجري بأمر الله ووحيه، وعلى سمعه وبصره، وأخذت الشفقة نوحاً عليه السلام على ابنه، فنادى ربه؛ {فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنْ الخَاسِرِينَ}[8]، فأعرض عن ولده واتبع أمر الله تعالى؛ إذ قال: {وَاصْنَعْ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ}[9]، وحمل بالسفينة بأمر الله من كل زوجين اثنين، وحلّ الأمن والأمان بين سكان السفينة ودوابها، وكانوا ثمانين نفساً، والله أعلم، {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[10]، فنجاهم الله في الفلك المشحون، ثم اغرق بعدُ الباقين ورسول الله نوح عليه السلام يلهج بما أمره الله أن يقول، إذ قال سبحانه له: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلْ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْ القَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ}[11].

---

١. سورة نوح ٥-١٤.
٢. سورة هود ٣٦.
٣. سورة نوح ٢٦-٢٧.
٤. سورة الصافات ٧٥.
٥. سورة هود ٣٧-٣٨.
٦. سورة القمر ١١-١٢.
٧. الدسر: وهي المسامير التي تشدّ بها الألواح.
٨. سورة هود ٤٥-٤٦.
٩. سورة هود ٣٧.
١٠. سورة هود ٤١.
١١. سورة المؤمنون ٢٨-٢٩.

إن الجحود ملازم لقوم نوح؛ حتى إنهم يجحدون يوم الدين؛ قال رسول الله: (يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: لا؛ ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جلّ ذكره: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}، والوسط: هو العدل)، رواه البخاري[1].

إنهم يستحقون الغرق والله يعلم حالهم آنذاك وهم في بيوتهم وطرقاتهم وعلى رؤوس جبالهم يستصرخون، ويستغيثون، ولا مغيث ولا ناصر.

ما أجمله من تصوير للحال المذكورة! في قوله تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[2]، ولما حل الأمان وزال الطوفان، {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[3].

إن العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ثم الله أعلم كم عاش نوح عليه السلام، فعمره قبل البعثة مجهول، وكذا بعد الطوفان، ويحتمل أن يكون تمام عمره ألفاً وسبعمائة وثمانين سنة[4].

---

١. صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٣٣٩.
٢. سورة هود ٤٤.
٣. سورة هود ٤٨.
٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٢٠.

رسول الله هود
عليه الصلاة والسلام

رسول الله هود عليه السلام؛ أرسله الله تعالى بعد نوح عليه السلام، وبينهما ثلاثة آباء، وأرسله الله تعالى إلى قوم عاد، وهم قوم تسموا باسم أبيهم، قال الله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ}[1]، وكلمة هود في الأصل اللغوي جمع هائد؛ أي: تائب[2]، وقد وردت كلمة هود في القرآن الكريم سبع مرات، وسميت سورة في القرآن باسمه، وأكثر قصته فيها، والباقي في سورتي الأعراف والشعراء.

اختلف العلماء في المراد بعاد؛ أهي التي وردت في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى}[3]؟ أم هناك أخرى؟ فذهب بعض العلماء إلى أن عاداً الأولى هي التي أهلكت بعد نوح عليه السلام بالريح الصرصر[4]، وأما الثانية فهي من نسل الأولى، وأهلكت الثانية بالصيحة، وقيل: الثانية هم ثمود قوم صالح عليه السلام، وهو قول ضعيف، ولعل هذا الاسم تكرر كثيراً، والله تعالى أعلم.

وأما قوم عادٍ فهم الذين كانوا يسكنون الأحقاف، وهي جبال من الرمل باليمن، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام؛ كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ}[5]، وهي من قبائل العرب العاربة، وأما العرب المستعربة فهم ولد إسماعيل عليه السلام.

وصف الله سبحانه عاداً بالقوة؛ إذ كان من مظاهر قوتهم أنهم يبنون القصور فوق الرَّبى والمرتفعات، فتبدو كأنها أعلام للطريق، وكانوا يقيمون السدود للمياه في الوهاد والمنخفضات، وهم أقوياء بأجسامهم وبأعدادهم؛ قال تعالى: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ}[6]، والريع: المكان المرتفع، والمصانع: الأمكنة الشريفة؛ كالقصور[7] وغيرها، وفي سورة الأعراف وصفهم الله سبحانه بالقوة، فقال تعالى: {وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[8].

لقد دعاهم رسول الله هود عليه السلام إلى إخلاص العبادة؛ قال الله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ}[9]، وحثهم على شكر النعم التي أنعم بها عليهم؛ فقال سبحانه

---

١. سورة هود ٥٠.
٢. الراغب، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص ٥٤٦.
٣. سورة النجم ٥٠.
٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفيحاء دمشق، ودار السلام الرياض، مجلد٤، ص٣٣١.
٥. سورة الفجر ٦-٨.
٦. سورة الشعراء ١٢٨-١٣٠.
٧. الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص٢٠٨ معنى {ريع}، ومعنى {مصانع} ص ٢٨٧
٨. سورة الأعراف ٦٩.
٩. سورة هود ٥٠-٥٢.

وتعالى: {فاتَّقوا اللهَ وَأطِيعُونِ وَاتَّقوا الَّذِي أمَدَّكم بمَا تعْلمُون أمَدَّكم بأنعَام وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إنِّي أخَافُ عَليْكمْ عَذابَ يَوْم عَظِيم}[1]، ولكنهم عصوا وعتوا وتمردوا؛ {قالواْ يَا هُودُ مَا جئتنا ببَيِّنَةٍ وَمَا نحْنُ بتارِكِي آلِهَتِنا عَن قوْلِكَ وَمَا نحْنُ لكَ بمُؤْمِنِينَ إن نَّقولُ إلاَّ اعْترَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بسُوَءٍ قالَ إنِّي أشْهدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أنِّي برِيءٌ مِّمَّا تشْرِكونَ}[2]، وتمادوا في طغيانهم؛ {قالوا سَوَاء عَليْنا أوَعَظتَ أمْ لمْ تكن مِّنَ الوَاعِظِينَ إنْ هَذا إلا خُلقُ الأوَّلِينَ وَمَا نحْنُ بمُعَذبينَ}[3]؛ يقولون: هذه عادة الأولين في اعتقاد أن لا بعث ولا نشور، وهو تصريح منهم بالكفر والصدّ، والإصرار على أقبح ردّ؛ يدل على ذلك صنيع الذين يدّعون أنهم الأشراف منهم؛ إذ {قالَ المَلأُ الذِينَ كفرُواْ مِن قوْمِهِ إنَّا لنرَاكَ فِي سَفاهَةٍ وِإنَّا لنظنُّكَ مِنَ الكاذِبينَ قالَ يَا قوْم ليْسَ بي سَفاهَة وَلكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالمِينَ أبَلِّغُكمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأنا لكمْ نَاصِحٌ أمِينٌ}[4]، وقالوا: {إن نَّقولُ إلاَّ اعْترَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بسُوَءٍ}[5]، فأجابهم رسول الله هود عليه السلام؛ {قالَ إنِّي أشْهدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أنِّي برِيءٌ مِّمَّا تشْرِكونَ مِن دُونِهِ فكِيدُونِي جَمِيعًا ثمَّ لا تنظِرُونِ إنِّي توَكلتُ عَلى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكم مَّا مِن دَآبَّةٍ إلاَّ هُوَ آخِذٌ بناصِيَتِهَا إنَّ رَبِّي عَلى صِرَاطٍ مُّسْتقِيم}[6]، وهددهم وتوعدهم؛ {قالَ قدْ وَقعَ عَليْكم مِّن رَّبِّكمْ رِجْسٌ وَغضَبٌ أتجَادِلونَنِي فِي أسْمَاء سَمَّيْتمُوهَا أنتمْ وَآبَآؤُكم مَّا نزَّلَ اللهُ بهَا مِن سُلطانٍ فانتظِرُواْ إنِّي مَعَكم مِّنَ المُنتظِرِينَ}[7]، ذلك أن عاداً كانوا يعبدون ثلاثة أصنام من دون الله؛ هي: صداً وصموداً وهراً، واستكبروا بعد وعيد نبيهم لهم؛ قال الله تعالى: {فأمَّا عَادٌ فاسْتكبَرُوا فِي الأرْضِ بغَيْرِ الحَقِّ وَقالوا مَنْ أشَدُّ مِنَّا قوَّة أوَلمْ يَرَوْا أنَّ اللهَ الَّذِي خَلقهُمْ هُوَ أشَدُّ مِنْهُمْ قوَّة وَكانوا بآيَاتِنا يَجْحَدُونَ}[8]، عندئذٍ كان المصير الحتمي، وهو العذاب الأليم بأحد ألوانه، وكان نصيبهم الريح الصرصر السموم الشديدة؛ قال الله تعالى: {فأرْسَلنا عَليْهمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لنُذِيقهُمْ عَذابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَلعَذابُ الآخِرَةِ أخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ}[9].

إنها أيام نحسات مشؤومات، ذوات غبار وتراب، فاجأهم الله تعالى بها، {فلمَّا رَأوْهُ عَارِضًا مُّسْتقبلَ أوْدِيَتِهمْ قالوا هَذا عَارِضٌ مُّمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتعْجَلتم بهِ رِيحٌ فِيهَا عَذابٌ ألِيمٌ تدَمِّرُ كلَّ شَيْءٍ بأمْرِ رَبِّهَا فأصْبَحُوا لا يُرَى إلا مَسَاكِنُهُمْ كذلِكَ نجْزِي القوْمَ المُجْرِمِينَ}[10]، وإلى النهاية استمر العذاب ثمانية أيام؛ قال الله تعالى: {وَأمَّا عَادٌ فأهْلِكوا برِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَليْهمْ سَبْعَ ليَالٍ وَثمَانِيَة أيَّام حُسُومًا فترَى القوْمَ فِيهَا صَرْعَى كأنَّهُمْ أعْجَازُ نخْلٍ خَاوِيَةٍ فهَلْ ترَى لهُم مِّن بَاقِيَةٍ}[11]، هذه

---

١. سورة الشعراء ١٣١-١٣٥.
٢. سورة هود ٥٣-٥٤.
٣. سورة الشعراء ١٣٦-١٣٨.
٤. سورة الأعراف ٦٦-٦٨.
٥. سورة هود ٥٤.
٦. سورة هود ٥٤-٥٦.
٧. سورة الأعراف ٧١.
٨. سورة فصلت ١٥.
٩. سورة فصلت ١٦.
١٠. سورة الأحقاف ٢٤-٢٥.
١١. سورة الحاقة ٦-٨.

لعنة الدنيا، ولهم في الآخرة لعنة أعظم وأنكى؛ قال الله تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ}[1]، وفي الحديث الصحيح قال الرسول ﷺ: (نُصِرْتُ بِالصَّبَا[2]، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ) متفق عليه[3].

وفي سورة فصلت ورد أنّ الله تعالى عذب عاداً بالصاعقة كثمود؛ قال الله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}[4]، فإن لم تكن هذه هي عاداً الثانية فقد جمع الله سبحانه على الأولى الصاعقة والريح، وبينهما ارتباط لا يخفى.

لقد كانت ديار عادٍ أخصب البلاد، وأكثرها جناناً، فلما سخط الله تعالى عليهم جعلها مفاوز بريح الدَّبور، ولذلك كان رسول الله ﷺ يتغير لونه إذا عصفت الريح، مخافة أن تكون عذاباً؛ كما عذب الله تعالى بها عاداً؛ ففي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: كَانَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ)، قَالَتْ: (وَإِذَا تَخَيَّلَتِ[5] السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ؛ {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[6]) رواه مسلم[7].

---

١. سورة هود ٥٩-٦٠.

٢. الصبا والدبور نوعان من الريح، والصبا: ريح باردة أرسلها الله على المشركين يوم الخندق، والدبور:الريح العقيم. انظر: العيني، محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح البخاري، البابي الحلبي، ط١، ١٩٧٢، مجلد٦، ص٤١.

٣. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٣٤٣، صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، رقم الحديث ٩٠٠

٤. سورة فصلت ١٣.

٥. إذا أقبلت سحابة يخيل للناظر أنها ماطرة.

٦. سورة الأحقاف ٢٤.

٧. صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، رقم الحديث ٨٩٩

رسول الله صالح
عليه الصلاة والسلام

أرسله الله تعالى بعد رسول الله هود عليه السلام، وأدلة رسالته كثيرة، منها قول الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ}[1]، وردت كلمة صالح في القرآن الكريم تسع مرات، وأكثر قصته في سور الأعراف والشعراء والنمل.

أرسله الله سبحانه وتعالى إلى ثمود، بعد أن أرسل هوداً عليه السلام إلى عاد الأولى، وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود، وقيل: قد تسمى ثمود بعادٍ الثانية، والثابت من اسم قوم صالح عليه السلام أنهم ثمود، قال الله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}[2].

ولما كانوا يعبدون الأصنام أمرهم أن يخلعوا الأصنام والأنداد، وأن لا يشركوا بالله شيئاً: {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[3]، ودلل على وحدانية الله تعالى وكثرة إنعامه عليهم؛ فقال: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}[4]، ومما يدل على أنه استلطفهم ووجه أنظارهم إلى ما فيه سعادتهم قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين فاتقوا الله وأطيعون وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيم[5] وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ}[6]، فآمنت طائفة، وكفر أكثرهم، واختلف قولهم فيه، فبعضهم قالوا: {قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ}[7]، وأكثرهم تندّروا: {قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}[8]، وأما أشراف القوم المستكبرون فاستهزءوا بالمستضعفين المؤمنين الصابرين؛ قال الله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}[9].

إنهم أصحاب الحِجر(البناء)، يسكنون بين الحجاز وتبوك، وينحتون من الجبال بيوتاً آمنين، وقد ركنوا إلى حصونهم، وكذبوا نبيهم، وسألوه أن يأتيهم بآية خارقة للعادة، تدل على صدق ما جاءهم به؛ {قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنتَ إِلا بَشَرٌ

---

١. سورة النمل ٤٥.
٢. سورة الأعراف ٧٣.
٣. سورة الأعراف ٧٣.
٤. سورة هود ٦١.
٥. هضيم: أي دخل بعضه في بعض، قاله الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد في المفردات ص٥٤٣.
٦. سورة الشعراء ١٤٢-١٥٢.
٧. سورة الشعراء ١٥٣.
٨. سورة هود ٦٢.
٩. سورة الأعراف ٧٥-٧٦.

مِّثْلنا فأتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[1]، فأجابهم: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ}[2]، وهذا تلطف منه لهم في العبادة، ولين جانب في الدعوة إلى الخير، فأصروا فأخذ عهودهم ومواثيقهم أن إذا أجبتكم إلى ما سألتم أن تؤمنوا بي وتصدقوا بالآية التي سآتيكم بها، قالوا: نعم، {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[3].

لقد جاءتهم الناقة من الصخرة التي كانوا ينحتون منها البيوت، فكانت معجزتهم من جنس ما مهروا واشتهروا به، ثم قال لقومه: {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً}[4]، ليدل على أن انفطار الصخرة الصماء عن ناقة عشراء، أمر خارج عن مقدور البشر، ولذلك وُصفت المعجزة بأنها مبصرة؛ أي: واضحة ظاهرة، قال تعالى: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}[5]، لكنّ قلوبهم قست، إذ كانوا يقطعون الصخر بأيديهم، فأورثهم ذلك القطع تلك القسوة، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}[6]؛ أي: قطعوا الصخر، ونحتوا فيه بيوتهم، إشعاراً ببطشهم، ولذلك كذبوا؛ قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ}[7]، فاستحبوا العمى على الهدى، وطلبوا العذاب، وانتدب شريفهم رجلاً منهم؛ قال رسول الله ﷺ: (انتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه)[8]، أي: انتدب رجلٌ شريفٌ منهم رجلاً؛ والذي أنتدب هو قدار بن سالف، قيل: كان أحمر أزرق أصهب؛ لذلك يقال له: أحيمر ثمود، وسبب عقرهم للناقة أنها كانت إذا وردت تشرب ماء البئر كله، وقد نبأهم نبيهم أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة، فكانوا يرفعون حاجاتهم من الماء في يومهم للغد، ثم ضاق بهم الأمر[9] فعقروا الناقة، قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا[10] إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ[11] عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا}[12]، وما أن عقرها أحيمر ثمود فسقطت على الأرض حتى ابتدروها بأسيافهم، فلما عاين ذلك سبقها ـ أي ولدها ـ علا أعلى الجبل هناك ورغا ثلاث مرات[13] فلهذا قال لهم نبيهم: {تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}[14]، فلم يصدقوه، وتآمر أشرافهم على قتله، قال تعالى: {وَكَانَ فِي

---

١. سورة الشعراء ١٥٣-١٥٤.
٢. سورة هود ٦٣.
٣. سورة الشعراء ١٥٥-١٥٦.
٤. سورة هود ٦٤.
٥. سورة الإسراء ٥٩.
٦. سورة الفجر ٧-٩.
٧. سورة القمر ٢٣-٢٤.
٨. رواه البخاري، محمد بن إسماعيل في الصحيح، كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٣٧٧.
٩. ابن حجر: احمد بن علي، فتح الباري، مرجع سابق، المجلد ٦ ص٣٧٩.
١٠. أي: بطغيانها.
١١. أي: أهلكهم وأزعجهم، قاله الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد في المفردات، مرجع سابق ص١٧١.
١٢. سورة الشمس ١١-١٥.
١٣ . ابن كثير، إسماعيل بن عمرو، البداية والنهاية، مرجع سابق ، المجلد١ ص١٣٦.
١٤. سورة هود ٦٥.

الْمَدِينَةِ تِسْعَة رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[1]، ذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح عليه السلام حجارة رضختهم سلفاً وتعجيلاً قبل قومهم، ومضت الأيام الثلاثة، وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب، لا يدرون كيف يفعل الله بهم، فجاءتهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، وخشعت الأصوات، فأصبحوا في دارهم جثثاً كان لم يغنوا فيها، قال تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}[2]، وقال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[3]، وانتقل رسول الله صالح عليه السلام إلى الحرم، فأقام به حتى مات، وأمست ثمود عبرة للمعتبرين، ولمّا مر النبي ﷺ (قَالَ لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ) رواه البخاري[4].

---

١. سورة النمل ٤٨-٥٢.
٢. سورة الحاقة ٥.
٣. سورة الأعراف ٧٨.
٤. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٣٨٠.

رسول الله إبراهيم
عليه الصلاة والسلام

رسول الله إبراهيم عليه السلام، بينه وبين نوح عليه السلام تسعة آباء، أرسله الله تعالى بعد رسول الله صالح عليهما السلام، يكنى أبا الضيفان، وهو أخ لهاران؛ وهاران هو أبو لوطٍ عليه السلام؛ فإبراهيم عمّ لوط عليهما السلام.

أدلة رسالته متوافرة؛ منها قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[1]، ومن أدلة إرسال إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنزال الصحف عليه، وصحف إبراهيم مذكورة في قوله تعالى: {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[2].

ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن تسعاً وستين مرة، في أربع وعشرين سورة، وسميت سورة في القرآن باسمه، وأكثر قصته في سورة البقرة، ووصفه الله تعالى وأثنى عليه في آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ منها أنه:

١. خليل الله؛ قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}[3].

٢. أواه[4] حليم؛ قال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ }[5].

٣. منيب حليم؛ قال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ}[6].

٤. صدّيق؛ قال الله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}[7].

٥. أمة[8] قانتٌ حنيفٌ شاكرٌ؛ قال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[9].

أرسله الله تعالى إلى أهل بابل[10] وكان قومه يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده؛ قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[11]، فأبوا، وعاندوه، وكان أول المعاندين له والده؛ قال الله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا

---

١. سورة النساء ١٦٣.
٢. سورة الأعلى ١٩.
٣. سورة النساء ١٢٥.
٤. الأواه: الذي يُكثر التأوه، ويُعبّر بالأواه عمن يُكثر من خشية الله تعالى.
٥. سورة التوبة ١١٤.
٦. سورة هود ٧٥.
٧. سورة مريم ٤١.
٨. أمة: عالماً قائماً مقام جماعة في عبادة الله.
٩. سورة النحل ١٢٠-١٢٢.
١٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد١، ص١٤٨.
١١. سورة العنكبوت ١٦-١٧.

يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}[1]، ثم استغفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه تنفيذاً لوعده ورجاء أن يهدي الله قلبه، فأصرّ والده على الشرك، وما كان الله ليغفر للمشركين، فتبرأ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من والده؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}[2].

وعاداه النمرود ملك بابل؛ إذ ادعى النمرود أنه ربّ الناس؛ قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[3]، أنه لا أبلغ من هذا البهت.

لقد آتى الله تعالى رسوله إبراهيم الرشد، فسأل قومه الذين يعبدون الأصنام؛ قال: {مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}[4]، ولم تثنهم حجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع قوتها وسطوعها عن مواصلة تصلبهم، فازداد عليه السلام تمسكاً بالحقيقة؛ {قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ}[5]، حينئذٍ ازدادوا له عداوة، وأرادوا إيذاءه؛ {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ}[6]، فشرعوا يجمعون الحطب، ومكثوا مدة

---

١. سورة مريم ٤١-٤٧.
٢. سورة التوبة ١١٤.
٣. سورة البقرة ٢٥٨.
٤. سورة الأنبياء ٥٢-٦٧.
٥. سورة الشعراء ٧٥-٨٥.
٦. سورة الأنبياء ٦٨.

يجمعونـه، وتـآزروا علـى ذلـك؛ حتـى إن المـرأة مـنهم كانـت إذا مرضـت تنـذر لـئن عوفيت لتحملن حطباً لحرق إبراهيم! فامتلأ الوادي، فأشعلت واضطرمت وتأججت والتهبت، وعلا لها شرر، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق- وهو أول منجنيق في التاريخ - ثم أخذوا يقيدونه، ويكتفونه، وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك)، ويقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل)[١]، وتولى الله سبحانه وتعالى الدفاع عنه؛ فقال: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[٢]، وبدأت هوام الأرض تنافح عن نبي الله إلا الوزغ؛ لذلك أمر رسول الله محمد ﷺ بقتله الوزغ، فعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ وَقَالَ كَانَ يَنفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام)[٣]، والوزغ هو سام أبرص، ويقال: بريص.

لقد أوذي نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فصبر، وكانت فيه القدوة والأسوة الحسنة، ولما يئس من إيمانهم، وأهلك الله جيوش النمرود، وظلّ ابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام مؤمناً معه؛ وهاجر إلى بلاد الشام، ثم إلى الديار المصرية، ثم استقر في الخليل التي سميت باسمه؛ قال الله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[٤]، وكانت امرأته عاقراً؛ لا يُولد لها، ولم يكن له منها الولد، فوهبه الله تعالى الأولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة، فكل نبي بُعث بعده فهو من ذريته، وفي يوم إهلاك قوم لوط كانت البشارة بإسحاق، ومن بعده من الأنبياء عليهم السلام؛ قال الله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ}[٥]، وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}[٦].

لقد أختبر إبراهيم عليه السلام، وامتحن بالأوامر والنواهي، فأداهن لله تعالى على صفة الكمال، كما ابتلاه بأن جعله إماماً يُقتدى بفعله، وفيه الأسوة والقدوة؛ قال الله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[٧]، وكان من مظاهر تلك الإمامة أن أمره الله تعالى برفع قواعد البيت العتيق؛ تلك القواعد التي أرستها الملائكة، فارتحل إلى مكة لتنفيذ أمر الله؛ قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[٨]، وبعد رفع قواعد البيت وتطهيره

---

١. ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، مجلد١، ص١٤٦.
٢. سورة الأنبياء ٦٩.
٣. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٣٥٩.
٤. سورة الأنبياء ٧١.
٥. سورة هود ٦٩-٧٣.
٦. سورة الحديد ٢٦.
٧. سورة البقرة ١٢٤.
٨. سورة البقرة ١٢٧.

أمره ربه تعالى بالنداء من على ظهر الكعبة؛ قائلاً: (إن الله كتب عليكم الحج فحجوا)، ولم تزل جموع الموحدين تلبي؛ فتقول: (لبيك اللهم لبيك)؛ قال الله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[1].

إنّ أعمال إبراهيم عليه الصلاة والسلام متجسدة في أركان الحج وواجباته، وإنّ آثاره في البيت العتيق لم تتبدل ولم تتغير، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى الأنبياء وأتباعهم باتباعه؛ قال الله تعالى: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[2]، وإتماماً لتجسيد مشاعر الحج، وإتماماً للابتلاء أمره الله تعالى أن يذبح ولده، الذي لم يبلغ من العمر إلا درجة قضاء حوائج ومصالح أبيه؛ قال الله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[3]، وحاول الشيطان جاهداً أن يصرف نبي الله عن تنفيذ أمر الله، فرماه بالحصى، فحاول مع إسماعيل وأمه فرمياه؛ ومن ثم نفهم تشريع الرمي في الحج، وتوافقه مع فعل إبراهيم الخليل عليه السلام.

ومن فاته أن يعرف صدق النبيين فليقرأ في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[4]، إنّ هذا لهو البلاء المبين، وسيأتي بإذن الله في قصة رسول الله إسماعيل عليه السلام كيف فداه الله تعالى بذبح عظيم.

أما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلا شك في ثباته على الحق، والتزامه بالشرع الحنيف، وأهل الكتاب في رسول الله إبراهيم عليه السلام يختصمون؛ قال الله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[5].

إن ملة إبراهيم عليه السلام معظمة؛ قال الله تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا

---

١. سورة الحج ٢٦-٢٧.
٢. سورة آل عمران ٩٥-٩٧.
٣. سورة الصافات ١٠١-١٠٢.
٤. سورة الصافات ١٠٣-١٠٥.
٥. سورة آل عمران ٦٥-٦٨.

بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[1]، وهو الذي سمى أتباعه مسلمين؛ قال الله تعالى: {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ}[2].

توفي إبراهيم عن قريب مائتي عام، ودفن بالخليل في فلسطين، وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق عليهم صلوات الله أجمعين.

---

١. سورة البقرة ١٣٠-١٣٢.
٢. سورة الحج ٧٨.

رسول الله لوط
عليه الصلاة والسلام

رسول الله لوط بن هاران، ابن أخ رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، عاصره، وعاش في كنفه، وآمن به؛ قال الله تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1]، وهاجر لوط مع عمه عليهما السلام إلى الشام؛ قال الله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[2]، ثم نزح عن محلة عمه الخليل عليه السلام بأمره وإذنه، فنزل بمدينة سدوم[3]، وهي منطقة البحر الميت في الأردن اليوم.

وردت كلمة لوطٍ في القرآن سبعاً وعشرين مرة، في أربع عشرة سورة، وأكثر قصته في سور هود والشعراء والعنكبوت، وأدلة رسالته كثيرة؛ منها قوله تعالى: {وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}[4]، وقوله تعالى: {وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}[5].

كان قومه من أفجر الناس وأكفرهم؛ يأتون الفواحش، ويقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون، لقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من البشر؛ وهي إتيان الذكران من العالمين، قال الله تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}[6]، وقال تعالى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}[7]، وقال تعالى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[8]، وكانت مدينتهم مع القرى المجاورة تسمى المؤتفكات.

لقد دعاهم رسول الله لوط عليه السلام إلى ترك المنكرات، وأنذرهم فكذبوا وأبوا؛ قال الله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}[9]، ولم يؤمنوا به، ولم يصدقوه، ولا ندموا على ما سلف من الماضي، ولا راموا في المستقبل تحويلاً، وأنكروا طهارة لوطٍ ومن معه! وازدادوا عناداً، وهددوهم بالإخراج من البلاد؛ قال تعالى: {قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ}[10]، ثم أرادوا إخراجه ومَن معه بالقوة؛ قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ

---

١. سورة العنكبوت ٢٦.
٢. سورة الأنبياء ٦٩-٧١.
٣. سَدُوم: بفتح السين وضم الدال. انظر: الجوهري، الصحاح، ط٣، ١٩٨٢، مجلد٥ ، ص ١٩٤٩.
٤. سورة الأنبياء ٧٤.
٥. سورة الصافات ١٣٣.
٦. سورة الأعراف ٨٠-٨١.
٧. سورة النمل ٥٥.
٨. سورة العنكبوت ٢٩.
٩. سورة الشعراء ١٦٠-١٦٤.
١٠. سورة الشعراء ١٦٧.

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}[1]؛ لقد جعلوا الطهارة ذماً يقتضي الإخراج، والطهارة هي غاية المدح! وما حملهم على تلك المقالة إلا العناد، فلا يُستغرب من هؤلاء العُتاة أن يطلبوا العذاب، قال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[2]، وقال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ}[3]، حينئذٍ دعا عليهم نبيهم عليه السلام؛ {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ}[4]، وفي سورة هود: {رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ}[5]، واستجاب الله دعاءه، وأرسل إليهم الملائكة العظام، فمروا على إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ليبشروه بالولد؛ قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}[6].

لقد خاف الخليل عليه السلام لما رأى ضيوفه لا يأكلون الطعام، وقد قدّم إليهم العجل المشوي؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ[7] فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ}[8]، وقال تعالى: {وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ}[9]، ومما ينبغي دفعه توهم أن امرأة لوطٍ عليه السلام كانت على فاحشة، حاشا وكلا؛ لأن الله تعالى لم يُقدّر على نبي أن تبغي امرأته، فما بغت امرأة نبي قط، وهذا شأن امرأة نوح عليه السلام أيضاً.

---

١. سورة الأعراف ٨٢.
٢. سورة العنكبوت ٢٩.
٣. سورة القمر ٣٣.
٤. سورة العنكبوت ٣٠.
٥. سورة الشعراء ١٦٩.
٦. سورة العنكبوت ٣١-٣٢.
٧. قال الزمخشري: (رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحيّة أحسن من تحيتهم؛ لأن الرفع دلّ على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه)، انظر: الكشاف، مجلد ١، ص٤٨.
٨. سورة هود ٦٩-٧٦.
٩. سورة الحجر ٥١-٦٠.

ولما فصلت الملائكة من عند الخليل عليه السلام أقبلوا في صور شُبان حسان، حتى أتوا أرض سدوم، وذلك عند غروب الشمس، فخشي لوط عليه السلام عليهم من الأشرار، فضيّفهم وحسبهم بشراً من الناس؛ قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}[1]، وقال: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ}[2]، وكان قومه قد اشترطوا عليه أن لا يضيّف أحداً، فجعل لوط عليه السلام يُعرّض لهم في الكلام، ويقول لهم: ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء، لكنه رأى أن الفتنة في رد الضيوف حاصلة فأدخلهم، ولم يُعلم أحداً من قومه، حتى خرجت زوجته فأخبرتهم؛ لأنها من الغابرين، فهرعوا مسرعين؛ قال تعالى: {وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ}[3]، والمراد بقوله: (هَؤُلاء بَنَاتِي) إرشادهم إلى غشيان نسائهم، وهن بناته؛ لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد[4]، ومما يدل على أن لوطاً عليه السلام أراد غشيان نسائهم قوله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}[5]، كما يدل على ذلك قوله: {يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ}[6]؛ وفعلتهم أبعد ما تكون عن الطهارة، سواء كانت مع الرجال أم مع النساء؛ فالمراد الزوجات، {قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ}[7]، وحاولوا جاهدين فتح الباب، وواجهوا رسولهم الكريم ولم يخافوا العذاب الأليم، فقال رسولهم: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ}[8]، وثبّت الله تعالى قلب الرسول محمد ﷺ بذلك؛ فقال: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}[9]، قالت الملائكة: {يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ}[10]، وأكدت الملائكة، {قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}[11]، قال لوط عليه السلام: {رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ}[12]، فبشروه، {وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}[13]، وعلموه سبيل النجاة؛ قالوا: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ}[14]، وقالت الملائكة: {إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا

---

١. سورة هود٧٧.
٢. سورة الحجر ٦٢.
٣. سورة الحجر ٦٧-٧١.
٤. قاله ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد ١، ص ١٨٠.
٥. سورة الشعراء ١٦٥-١٦٦.
٦. سورة هود ٧٨.
٧. سورة هود ٧٩.
٨. سورة هود ٨٠.
٩. سورة الحجر ٧٢.
١٠. سورة هود ٨١.
١١. سورة الحجر ٦٣-٦٤.
١٢. سورة الشعراء ١٦٩.
١٣. سورة العنكبوت ٣٣.
١٤. سورة هود ٨١.

كانوا يَفسُقونَ}[1]، وخرج رسول الله لوط عليه السلام بأهله وبمن معه ليلاً، ولمّا أشرقت الشمس أنزل الله سبحانه عليهم ألوان العذاب؛ قال تعالى: {فلمَّا جَاء أمْرُنَا جَعَلنا عَالِيَهَا سَافِلهَا وَأمْطرْنا عَليْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيل مَّنضُود[2] مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظالِمِينَ ببَعِيدٍ}[3]، وقال تعالى: {وَأمْطرْنا عَليْهِم مَّطرًا فانظرْ كيْفَ كانَ عَاقِبَة المُجْرمِينَ}[4]، وقال تعالى: {فأخذتْهُمُ الصَّيْحَة مُشْرقِينَ فجَعَلنا عَالِيَهَا سَافِلهَا وَأمْطرْنا عَليْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيل}[5]، وقال تعالى: {وَأمْطرْنا عَليْهِم مَّطرًا فانظرْ كيْفَ كانَ عَاقِبَة المُجْرمِينَ}[6]، وقال تعالى: {إنّا مُنزلونَ عَلى أهْل هَذِهِ القرْيَةِ رجْزًا مِّنَ السَّمَاء بمَا كانوا يَفسُقونَ}[7]، وقال تعالى: {وَلقدْ أنذرَهُم بَطشَتنا فتمَارَوْا بالنُّذُر وَلقدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فطمَسْنا أعْيُنهُمْ فذوقوا عَذابي وَنُذُر وَلقدْ صَبَّحَهُم بُكرَةً عَذابٌ مُّسْتقِرٌّ فذوقوا عَذابي وَنُذُر}[8]، وقال تعالى: {وَالمُؤْتفِكة أهْوَى فغَشَّاهَا مَا غَشَّى}[9]؛ لقد اقتلعت الملائكة الديار من قرارهن، وأمطرت السماء عليهم حجارة شديدة صلبة، منضودة يتبع بعضها بعضاً، مسومة قد كتب على كل حجر اسم صاحبه، وصاحت بهم الملائكة، ورفع الملك بلادهم وأهوى بها منكسة؛ عاليها سافلها، فأصابهم العذاب، حتى زوجة لوط سقط عليها حجر فدمغها؛ وجعلها الله عبرة ومَثلاً؛ قال الله تعالى: {إنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ للمُتوَسِّمِينَ وَإنَّهَا لبسَبيل مُّقيم إنَّ فِي ذلِكَ لآيَة للمُؤمِنِينَ}[10]، والمتوسمون هم الذين ينظرون بعين الفراسة والتوسم، قال رسول الله ﷺ: (اتّقوا فِرَاسَة المُؤْمِن فإنَّهُ يَنظرُ بنور الله)[11]، ومن نظر بنور الله اعتبر، وقال الله تعالى: {إنَّ فِي ذلِكَ لآيَة وَمَا كانَ أكثرُهُم مُّؤْمِنِينَ}[12]، وقال تعالى: {وَلقد ترَكنا مِنهَا آيَة بَيِّنة لقوْم يَعْقِلونَ}[13]، لقد جعلهم الله عبرة مع المجرمين، ونهى المؤمنين عن فعل ما كانوا يفعلون؛ قال تعالى: {مُّسَوَّمَة عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظالِمِينَ ببَعِيدٍ}[14]؛ أي: وما هذه العقوبة ببعيدة ممن أشبههم في فعلهم.

---

١. سورة العنكبوت ٣٤.
٢. حجارة من طين، بعضها فوق بعض.
٣. سورة هود ٨٢-٨٣.
٤. سورة الأعراف ٨٤.
٥. سورة الحجر ٧٣-٧٤.
٦. سورة الأعراف ٨٤.
٧. سورة العنكبوت ٣٤.
٨. سورة القمر ٣٦-٣٩.
٩. سورة النجم ٥٣-٥٤.
١٠. سورة الحجر ٧٥-٧٧.
١١. رواه الترمذي والطبراني
١٢. سورة الشعراء ١٧٤.
١٣. سورة العنكبوت ٣٥.
١٤. سورة هود ٨٣.

رسول الله إسماعيل
عليه الصلاة والسلام

رسول الله إسماعيل عليه السلام، ابن رسول الله إبراهيم عليه السلام، وهو أول رسول أبوه رسول، ودليل رسالته قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ}[1]، وقوله تعالى: {قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ}[2]، والظاهر أن شريعتهما واحدة.

ورد اسم إسماعيل في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، في ثماني سور قرآنية، إشارة إلى فضله، وكريم خصاله، وعظيم صفاته، التي من أشهرها أنه:

١. ممن فضله الله تعالى على العالمين؛ قال تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ}[3].

٢. رسول نبي مرضي عند ربه؛ قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا}[4].

٣. من الصابرين المرحومين الصالحين؛ قال تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ}[5].

٤. من الأخيار: قال الله سبحانه وتعالى: {وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الأَخْيَارِ}[6].

٥. من الأمة المسلمة كأبيه، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً؛ قال تعالى: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[7].

روي[8] أن إسماعيل عليه السلام هو أول من فتق لسانه بالعربية البيّنة، ولإسماعيل عليه السلام صفات كثيرة، تستنبط من قصته الطويلة المتميزة بالمشقة والابتلاء، وملخصها: أنه لما هاجر إبراهيم عليه السلام باتجاه الأرض المقدّسة، في بيت المقدس، سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فبشره الله تعالى بغلام حليم، قال تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}[9]، وكان المُبشر به هو إسماعيل عليه السلام، وإبان رضاعته أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يُسكن الغلام الحليم في بلادٍ قفرٍ، ووادٍ ليس به زرع ولا ضرع ولا أنيس، حيث مكة المكرمة اليوم، فسار بأهله لينفذ أمر الله تعالى، فوضعه وأمه فيها، ووضع معهما القليل من التمر والماء، وولى ظهره، فقامت إليه هاجر، وتعلقت بثيابه، ولكنها استسلمت لما علمت أنه أمر الله، فرفع أكف

---

١. سورة النساء ١٦٣.
٢. سورة آل عمران ٨٤.
٣. سورة الأنعام ٨٦.
٤. سورة مريم ٥٤.
٥. سورة الأنبياء ٨٥-٨٦.
٦. سورة ص ٤٨.
٧. سورة البقرة ١٤٠.
٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد١ ص١٩٢
٩. سورة الصافات ٩٩-١٠١.

الضراعة، وقال: {رَّبَّنا إِنّي أَسْكنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُواْ الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}[1] ، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلاً عليه، فجعل الله لهما فرجاً ومخرجاً، ورزقهما من حيث لا يحتسبان؛ إذ لما نفذ الماء، ونفذ صبرها، وقامت تركض بين الصفا والمروة، وتسعى سعي المجهود، وانقطع أملها بالناس، أتاها الفرج؛ فأرسل الله الملك فبحث بجناحه، فظهر ماء زمزم، فجعلت تخوضه، وهو يفور، فشربت، وأرضعت ولدها، وجسدت بفعلها بعض شعائر الحج إلى يومنا هذا.

ولما شبّ إسماعيل، وصار يسعى في مصالح نفسه، وأطاق ما يفعله أبوه من العمل، أوحى الله تعالى إلى إبراهيم مناماً أن يذبح ولده، ورؤيا الأنبياء وحي؛ قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}[2]، وإنما عَرَضَ ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه، وأهون عليه، فبادر الغلام الحليم بالاستسلام لأمر الله تعالى: {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[3]، إن هذا لهو البلاء المبين، يؤمر نبي بذبح ولده فيستسلم لأمر ربه، ثم يستسلم الولد، طاعة لله تعالى!! فأضجعه كما تضجع الذبائح، ولم يترددا ولا شكا، ولا تقاعسا، ووسوس الشيطان للوالد والوالدة والولد، فرجموه وطردوه، لتبقى المناسك مقرونة بأفعالهم إلى يوم الدين، ثم كان الفداء؛ قال تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}[4].

لقد كان الفداء بكبش أبيض عظيم، وما زال المسلمون بسنة الأضحية مستمسكين، وأن كان الناس يختلفون في الذبيح، واليهود حسداً يدّعون أنه إسحاق، ويُرد عليهم بردود عديدة من أشهرها:

١. ورود البشارة بإسحاق بعد قصة الذبح في القرآن؛ فقصة الذبح سابقة على وجوده.

٢. لا معتمد لهم إلا كتبهم المحرّفة.

٣. قول الله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}[5]؛ إذ كيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له؟ هذا لا يكون؛ لأنه يناقض البشارة المتقدمة[6]، ثم لقد اشتهر عن رسول الله ﷺ أنه ابن الذبيحين، ولا يعرف من آبائه ذبيح سوى والده إلا إسماعيل عليه السلام.

كان إسماعيل عليه السلام رامياً، قال رسول الله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً)[7].

---

١. سورة إبراهيم ٣٧.
٢. سورة الصافات ١٠٢.
٣. سورة الصافات ١٠٢.
٤. سورة الصافات ١٠٣-١٠٧.
٥. سورة هود ٧١.
٦ . ابن كثير إسماعيل ابن عمر ، البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٥٩.
٧ . رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣٣٧٣.

شارك إسماعيل عليه السلام في بناء أول بيت وضع للناس، أشرف المساجد، ورفع القواعد مع والده إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[1]، وفي ذلك شرف عظيم، وازدادوا شرفاً ورفعة لما عهد الله تعالى إليهما بتطهير البيت، قال تعالى: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[2]، كل ذلك وهما يبتهلان {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[3]، ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق عليه السلام، ودفن إسماعيل نبي الله عليه السلام مع أمه هاجر، وكان عمره يوم مات مائة وسبعاً وثلاثين سنة.

---

١. سورة البقرة ١٢٧.
٢. سورة البقرة ١٢٥.
٣. سورة البقرة ١٢٧-١٢٨.

رسول الله إسحاق
عليه الصلاة والسلام

رسول الله إسحاق بن رسول الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، أبوه نبي، وابنه رسول الله يعقوب عليه السلام وهو نبي، وكل الأنبياء بعد اسحق عليه السلام من ذريته، إلا رسول الله محمداً ﷺ؛ فإنه من رسول الله إسماعيل عليه السلام.

ورد اسم إسحاق عليه السلام في القرآن سبع عشرة مرة، في اثنتي عشرة سورة، وأدلة رسالته في القرآن كثيرة؛ منها: قوله تعالى: {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[١]، وقوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[٢]، ووصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن بصفات شريفة كثيرة؛ منها أنه:

١. نبي صالح؛ قال الله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}[٣].

٢. مبارك فيه؛ قال الله تعالى: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}[٤].

٣. من أولي الأيدي والأبصار؛ قال الله تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ}[٥].

٤. مهدي للصراط المستقيم؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا}[٦].

٥. حنيف مسلم، ليس يهودياً ولا نصرانياً؛ قال الله تعالى: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[٧].

بشّر الله سبحانه نبيه إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام من هاجر، وبإسحاق عليه السلام من سارة؛ قال الله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}[٨]، وتضمّنت البشارة بإسحاق عليه السلام البشارة بولده يعقوب عليه السلام؛ قال الله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}[٩]، وقال الله تعالى: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا

---

١. سورة البقرة ١٣٦.
٢. سورة النساء ١٦٣.
٣. سورة الصافات ١١٢.
٤. سورة الصافات ١١٣.
٥. سورة ص ٤٥.
٦. سورة الأنعام ٨٤.
٧. سورة البقرة ١٤٠.
٨. سورة الصافات ١١٢.
٩. سورة هود ٧١.

نبيًا وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}[1]؛ فهم ثلاثة أنبياء بُشر بهم رسول الله إبراهيم؛ منهم اثنان نافلة على البشارة الأولى، قال الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ}[2].

لقد بشّرته الملائكة بإسحاق عليه السلام لمّا مروا ذاهبين إلى المؤتفكات قوم لوط؛ ليدمروا عليهم مدائنهم؛ بسبب كفرهم وفجورهم؛ قال الله تعالى: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ}[3]، وفي سورة الحجر الشريفة قال تعالى: {قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ}[4]، ويلاحظ هنا أنه وُصف إسحاق بأنه غلام عليم، أما إسماعيل فوُصف بأنه غلام حليم، وهو مناسب لمقام إسماعيل عليه السلام وصبره، ووفائه بالعهد لما أمر الله بذبحه، ولا يعني وصف اختصاص كل منهما بوصف انتفاء ذلك الوصف عن غيره؛ وإنما هو أكثر مناسبة للموصوف به، حسب سيرته وما جرى معه، ولمّا بشرت أم إسحاق عليه السلام بمولود صرخت، وصكت وجهها؛ كما تفعل النساء عند التعجب؛ إذ كيف يلد العقيمان وحالتهم هذه؟! قال الله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}[5].

أما الخليل عليه السلام فحمد الله، وابتهل فقال: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}[6]، وهو جدير بالحمد والثناء؛ وحريّ به أن يُكبّر ويُعظم ربّه؛ الذي أجزل له النعمة؛ ففي البشارة دليل على أن إسحاق عليه السلام سيُولد لهما في حياتهما؛ لتقرّ أعينهما به، كما سيولد لإسحاق يعقوب في حياتهما أيضاً، ولو لم يَرد هذا المعنى لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه دون سائر نسل إسحاق عليه السلام فائدة، فلمّا عُيّن بالذكر دون غيره دلّ على أنهما سيتمتعان به وسيُسران بمولده، كما سُرا بمولد أبيه، ويُذكر أن يعقوب بن إسحاق عليهما السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى، بعد بناء الخليل وابنه عليهما السلام المسجد الحرام بأربعين سنة[7]، والله تعالى أعلم.

---

١. سورة مريم ٤٩-٥٠.
٢. سورة الأنبياء ٧٢.
٣. سورة هود ٧٠-٧٣.
٤. سورة الحجر ٥٣-٥٥.
٥. سورة الذاريات ٢٩-٣٠.
٦. سورة إبراهيم ٣٩-٤١.
٧. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد ١، ص ١٦٢.

رسول الله يعقوب (إسرائيل)
عليه الصلاة والسلام

يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، نبي ابن نبي ابن نبي، وكل الأنبياء بعده من ذريته، عدا خاتم النبيين ﷺ ، فانه من ذرية إسماعيل عليه السلام.

وهب الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام إسماعيل من هاجر، واسحق من سارة، وتميزت البشارة بإسحاق أنه سيولد لإسحاق نبي، هو يعقوب، قال تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}[1].

ولد يعقوب عليه السلام في موطن أبيه وجده في الخليل في فلسطين اليوم، وسمي بهذا الاسم لأنه ولد عقب أخيه العيص بن اسحق عليه السلام.

أوحى الله سبحانه وتعالى إليه كما أوحى إلى أبويه، قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ}[2]، ويذكر أحيانا في القرآن الكريم باسم إسرائيل، فقد ورد في القرآن الكريم بالاسم الأول (يعقوب) ست عشرة مرة في عشر سور، وبالاسم الثاني (إسرائيل) مرتين مطلقاً، ومضافاً إلى بنيه بلفظ (بنو إسرائيل) أو (بني إسرائيل) أربعين مرة في سور كثيرة، ووصف الله تعالى يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم بأوصاف جليلة، منها:

١ـ أنه من جملة العابدين الذين اصطفاهم الله تعالى، وهم أولو القوة والعقل وبُعد النظر، قال تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ}[3].

٢ـ أنه من جملة الأمة العظيمة التي ثبتت على الحق (الدين الحنيف) ليس يهودياً ولا نصرانياً، قال تعالى: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[4].

٣ـ أتم الله نعمته عليه، قال تعالى: {وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[5].

٤ـ أنه ذو علم، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[6].

٥ـ أنه من جملة الأنبياء دينهم واحد هو الإسلام، قال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً: {قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ

١ـ سورة هود ٧١.
٢ـ سورة النساء ١٦٣.
٣ـ سورة ص ٤٥-٤٧.
٤ـ سورة البقرة ١٤٠-١٤١.
٥ـ سورة يوسف ٦.
٦ـ سورة يوسف ٦٨.

لـهُ مُسْـلِمُونَ وَمَـن يَبْتَـغِ غَيْـرَ الإِسْـلام دِينًـا فَلَـن يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِـي الآخِـرَةِ مِـنَ الْخَاسِرِينَ}[1].

٦. أنـه مهـدي كأبيـه عليـه السـلام، قـال تعـالى: {وَوَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَقَ وَيَعْقُـوبَ كُـلاًّ هَدَيْنَا}[2].

التزم يعقوب عليه السلام دين آبائه، وتعلق بما أوحى إليه، ووصى بها بنيه، كما وصّى جده إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[3]، ولما حضره الموت خاطب أبناءه محرضاً لهم على الثبات على الإسلام، قال تعالى: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[4]، إلا أن بنـي إسـرائيل تجاوزوا وصية والدهم وأكثرهم الكافرون، وقصتهم في القرآن الكريم طويلة، وتجاوزهم الحد، وكفرانهم نعمة الله عليهم، وقتلهم الأنبياء، كل ذلك عصيان استحقوا به غضب الله تعالى، قال سبحانه: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}[5].

أقام يعقوب عليه السلام بعد نجاة يوسف عليه السلام في ارض مصر، حيث كان آمناً مطمئناً، وكان عمره لما دخلها مائة وثلاثين سنة[6] وقد عمي قبل دخوله، فقال يوسف عليه السلام لاخوته: {اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ}[7]، وسيأتي في قصة يوسف إن شاء الله ما يؤكد هذا.

توفي يعقوب عليه السلام بعد أن مكث بمصر سبع عشرة سنة، ووصّى قبل موته أن يدفن بجوار والده وجده اسحق وإبراهيم عليهما السلام في الخليل، فنفذ يوسف عليه السلام وصية والده ودفنه حيث وصى، فعليهم جميعاً رحمة الله وصلاته وسلامه.

---

١. سورة آل عمران ٨٤-٨٥.
٢. سورة الأنعام ٨٤.
٣. سورة البقرة ١٣٢.
٤. سورة البقرة ١٣٤.
٥. سورة آل عمران ١١٢.
٦ . ابن كثير، إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد ١، ص٢٢٠.
٧. سورة يوسف ٩٣-٩٤.

رسول الله يوسف
عليه الصلاة والسلام

رسول الله يوسف عليه السلام، كريم آباؤه كرماء، قال الرسول ﷺ: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام) رواه البخاري[1].

أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ[2] قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ}[3].

ورد اسم يوسف في القرآن سبعاً وعشرين مرة في ثلاث سور، وسميت سورة في القرآن باسمه، وفيها قصته، وورد اسمه في الأنعام وغافر.

كان لوالده يعقوب عليه السلام من البنين اثنا عشر ولداً ذكراً، فنسب إليه الأسباط؛ أي القبائل، كل قبيلة من نسل رجل، وهم بنو إسرائيل، وكان يوسف من أجلهم وأكرمهم؛ لأنه ليس فيهم نبي غيره، ولذلك حظي بحب يعقوب عليه السلام.

رأى يوسف عليه السلام وهو صغير كأن عائلته (يعقوب وأولاده وزوجته) سجدوا له فهاله ذلك، فأخبر والده قال: {يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)}[4]، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية، ورفعة عظيمة، فأمره بكتمانها؛ {قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(٥)}، ولكن الكيد لم يأت بسبب ما توقعه يعقوب عليه السلام من النبوة، وإنما من جهة الحب، الذي تمكن في قلب يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام؛ {إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ(٨)}، وتآمروا على قتله أو إبعاده إلى أرض لا يرجع منها، ليخلو لهم وجه أبيهم، ثم يتوبوا، ويكونوا بعد فعلهم قوماً صالحين، واشتوروا، واجمعوا على إلقائه في البئر؛ {قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ(١٠)}؛ أي: المارّة، فتحايلوا وأظهروا الانبساط، وتردد يعقوب عليه السلام، ثم ذهبوا به لما أذن والدُه، وقد أمِنَ عليه مما كان يخاف من الذئب، فألقوه في غيابات الجب، ورجعوا من غير يوسف باكين، يدّعون أنهم يريدون الرمي بالسهام أو الاستباق حقيقة، {وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ(١٨)}، ونسوا أن يخرقوا القميص، وآفة الكذب النسيان، فظهرت علائم الريبة ليعقوب عليه السلام، {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ(١٨)}، وبدأ الابتلاء بالجب- البئر- ونجاه الله سبحانه وتعالى منه على يد وارد؛ أدلى دلوه، فتعلق به، وبنجاته بدأ ابتلاء من نوع جديد، ومحنة لا تناسب عراقة أصله وأمانته، وهي محنة الرق؛ {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ

---

١. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٣٨٩

٢. يراد بالهلاك هنا الموت من غير قصد الذم، وهي مواطن قليلة،انظر المفردات الراغب، مرجع سابق، ص٥٤٤.

٣. سورة غافر ٣٤.

٤. اكتفيت بالإشارة إلى رقم الآية لأن المذكور من قصته هنا من سورة واحدة.

بَخسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢٠)}، وأياً كان المشتري والبائع فإن المصاب جلل، نبي يكابد الرق قبل نبوته!! وينتقل ويدخل مصر في صورة أسير رقيق، ويشتريه عزيز مصر؛ رجاء الولد؛ قال: {عَسَى أن يَنفعَنَا أوْ نتَّخِذهُ وَلدًا(٢١)} ، فمكن الله تعالى له، وكان رحمة لأهل مصر، وفي ذلك من الحكمة العظيمة البالغة، إذ قيض الله ليوسف العزيز وامرأته؛ يحسنان إليه، ويعتنيان به، ويكرمان مثواه.

ولما بلغ أشده، وهو سن الأربعين، كما في قوله تعالى: {حَتَّى إذا بَلغَ أشُدَّهُ وَبَلغَ أرْبَعِينَ سَنَة (١٥)}، حينئذٍ آتاه الله النبوة؛ قال تعالى: {وَلمَّا بَلغَ أشُدَّهُ آتيْنَاهُ حُكمًا وَعِلمًا وَكذلِكَ نجْزِي المُحْسِنِينَ (٢٢)}، وليس بعد هذا التكريم من تكريم، وإن اقترن بالمحن، ولكن مقام النبوة يتسامى بالمحن، فبدأت محنة فتن النساء، فراودته امرأة العزيز، فاستعصم خوفاً من الله تعالى، ولأن الله رعاه ورباه واصطفاه، ورداً لجميل عزيز مصر الذي أكرم مثواه، وأدخله بيته، وقد همّت به زوجته، وحاولت إجباره فهمّ بضربها، فعصمه الله تعالى من ذلك أيضاً، فولى مدبراً، وتمسكت بقميصه حتى قدّته، ولتبرأ ساحته شقت قميصه من ورائه، لا من قبل، إذ كان دليلاً على صدقه وكذبها، {فلمَّا رَأى قمِيصَهُ قدَّ مِن دُبُرٍ قالَ إنَّهُ مِن كيْدِكنَّ إنَّ كيْدَكنَّ عَظِيمٌ (٢٨)}، وما أن برئت ساحته منها، حتى كادت له نساء المدينة، وقد جمعتهن امرأة العزيز، وأخرجت عليهن شطر الحسن، وهو لا يدري، فقطّعن أيديهن لما رأينه وأكبرنه، وركبهن الدهش، فالتجأ إلى الله سبحانه وتعالى؛ {قالَ رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليْهِ (٣٣)}، وخاف أن يوكل إلى نفسه وليس له من نفسه إلا العجز والضعف؛ {قالَ رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليْهِ وَإلاَّ تصْرِفْ عَنِّي كيْدَهُنَّ أصْبُ إليْهِنَّ وَأكن مِّنَ الجَاهِلِينَ (٣٣)}، يريد أن يقول: إنني ضعيف إلا إذا قويتني وعصمتني وحفظتني بحولك وقوتك، {فاسْتجَابَ لهُ رَبُّهُ فصَرَفَ عَنهُ كيْدَهُنَّ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (٣٤)}.

ثم بدا للقوم أن سجنه يُخمِد أمره فسجنوه، فدعا في سجنه إلى عبادة ربه، وحث الناس على التوحيد، قائلاً: {أأرْبَابٌ مُتفرِّقونَ خَيْرٌ أم اللهُ الوَاحِدُ القهَّارُ (٣٩) مَا تعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أسْمَاءً سَمَّيْتمُوهَا أنتمْ وَآبَاؤُكمْ مَا أنزَلَ اللهُ بهَا مِنْ سُلطانٍ إنِ الحُكمُ إلا لِلهِ أمَرَ ألا تعْبُدُوا إلا إيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ القيِّمُ وَلكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ (٤٠)} ، فتعلق به أهل السجن، وكان منهم ساقي ملك مصر وخبازه، فرأى أحدهما أنه يعصر خمراً، ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزاً، تأكل الطير منه، فذهلا واستفتيا يوسف عليه السلام لما يعلمان من صلاحه، فأخبرهما أن أحدهما سينجو من الموت، ولن ينجو الآخر، فرجع الناجي إلى خدمة سيده، وكان ناصراً له في قصر الملك؛ يذكرُ يوسف بالخير والصدق، ودارت دائرة الرؤى على ملك مصر؛ {وَقالَ المَلِكُ إنِّي أرَى سَبْعَ بَقرَاتٍ سِمَانٍ يَأكلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأخَرَ يَابسَاتٍ يَا أيُّهَا المَلأ أفتونِي فِي رُؤْيَايَ إن كنتمْ لِلرُّؤْيَا تعْبُرُونَ (٤٣)}، فتذكر الناجي، وقال: {أنا أنبِّئُكم بتأويلِهِ فأرْسِلونِ (٤٥)}، فأتاه، فأوّل البقرات بالأعوام، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم، فطلبه الملك إلى مجلسه، فلم يُجب يوسف بادئ الأمر؛ لتبرأ ساحته أمام ملك البلاد المصرية، مما يدل على صدقه وصبره وثباته.

ولما برئت ساحته، وسألهن الملك؛ قال: ما خطبكن؟ فأجبن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء، واعترفت امرأة العزيز بذنبها لما حصص الحق ووضح وانكشف، حينئذ لبّي نداء الملك فطمأنه؛ {قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)}، فقال يوسف عليه السلام: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)}، وذلك لمّا رأى من نفسه الكفاءة- وطلبُ الولاية جائز لمن علم من حاله الأمانة والقدرة عليها- ومكن الله تعالى له، فانظر رحمك الله الفرج، كيف يكون بعد الشدة؛ لقد انتقل من السجن إلى الولاية على أقوات الناس! حيث سيأتي إخوته، وجاء إخوته فعرفهم، ولم يعرفوه، وإنما جاءوا يطلبون طعاماً بعد سنوات الجدب، يجلبونه من حيث يوسف عليه السلام قائم عليه، فأعطاهم من الميرة ما يوافق عددهم، فطلبوا حصة أخيهم، فأجاب، {قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)}، قالوا سنجتهد في مجيئه معنا، وأراد يوسف عليه السلام إغراءهم وإجبارهم على العودة؛ {وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ (٦٢)}، وذلك لعلمه أن يعقوب عليه السلام لن يقبل أكل حق الآخرين فسيعيدها، وقد لا يكون عندهم ما يرجعون به مرة ثانية، إضافة إلى أنها حيلة لعودة أهله إليه، وحصل ما كان يتوقع؛ إذ لما رجعوا إلى أبيهم طلبوا إرسال أخيهم معهم ليزدادوا كيل بعير، وقد مُنع منهم الكيل، وقويت حجتهم لما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم رجعت معهم خطأ، وتجب إعادتها.

وازدادت بطلبهم محنة يعقوب عليه السلام فهو يشمّ في بنيامين رائحة يوسف، ويتسلى به عنه، ويتعوض بسببه منه، ولذلك طلب عهدهم وموثقهم المؤكد على إعادته إليه، وأخذوه وسارعوا به، ونفذوا وصية والدهم أن لا يدخلوا من باب واحد مخافة العين، قال تعالى: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦٨)}، لقد نجحت الحيلة، فوصل أخوه الشقيق، فتحايل أخرى، فوضع سقايته- وهي التي كان يشرب ويكيل بها للناس الطعام - في متاع بنيامين، ثم نادى مناديه {أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)}، كل ذلك بعد أن طمأن بنيامين؛ {قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٦٩)}، فأنكروا السرقة، وهم صادقون، واثبت يوسف عليه السلام وجودها في متاع أخيه، وهو صادق، {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)}، وربط إخوة يوسف هذه القضية بما كانوا يعرفون من قصة يوسف عليه السلام؛ واتهامه بالسرقة وهو صغير؛ فلهذا {قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)}، فدخلوا في الترفق والتلطف؛ {قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)}، فرفض يوسف عليه السلام؛ {قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩)}.

{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)} ، فرجعوا إلى أبيهم وأخبروه الخبر، فازداد

ابتلاءً، وصبر ودعا؛ {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)}، وتولى يبكي، {وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)}.

ولم ييأس يعقوب عليه السلام من روح الله، وأمر أولاده أن لا ييأسوا من الفرج بعد الشدة، فرجعوا إلى يوسف عليه السلام، فدخلوا عليه؛ {قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} بسبب الجدب، وضيق الحال، وكثرة العيال، {وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)}، لأن بضاعتنا قليلةً ضعيفة لا يُقبل مثلها، فعطف يوسف عليه السلام على أبيه وعلى اخوته، فكشف عن نفسه، فتعجبوا أن لم يكونوا عرفوه، {قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)} فعفا عنهم إكراماً لوالده، وأرسل لوالده البشرى معهم، وأمرهم أن يحملوا أهلهم أجمعين إلى ديار مصر، {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤)}، ثم كانت المفاجأة بمجيء البشير، فألقى القميص على وجهه، فرجع بصيراً، بعد ما كان ضريراً، وجمع أهله واستغفر يعقوب عليه السلام للجميع، وتحققت الرؤيا، وتذكر الرسولان نعيم الله تعالى عليهما وعلى أهلهما، بعد عناء ثمانين سنة.

ولما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت، وشمله قد اجتمع، وعرف أن هذه الدار لا يُقر بها قرار، وأن كل شيء فيها ومن عليها فان، وما بعد التمام إلا النقصان، أثنى على ربه بما هو أهله، واعترف بعظيم فضله وإحسانه، وسأله وهو خير مسؤول أن يتوفاه على الإسلام؛ {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)}، وأوصى أن يدفن عند آبائه فمات وهو ابن مائة وعشر سنين، فنقل إلى موطن دفن والده وجده عليهم صلوات الله وسلامه.

رسول الله شعيب
عليه الصلاة والسلام

رسول الله شعيب عليه السلام، من نسل مدين بن إبراهيم عليه السلام، ورد اسمه في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، في آل عمران وهود والشعراء والعنكبوت، وهو من أنبياء العرب مع هود وصالح ومحمد عليهم السلام أجمعين.

أرسله الله تعالى إلى مدين، قال سبحانه وتعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}[1]، وكانوا قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين؛ والتي هي قرية من أرض معان في الأردن، تقع قريباً من بحيرة لوط (البحر الميت).

ينسب قومه إلى جدهم مدين، وهو ممن هاجر مع إبراهيم عليه السلام إلى ارض الشام[2]، و يقال: أرسل شعيب إلى أمتين مختلفتين؛ أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، ذلك بأنه وُصف شعيب عليه السلام في قصة أصحاب مدين بأنه أخوهم، كما مرّ آنفاً، بخلاف أصحاب الأيكة؛ فقد قال تعالى فيهم: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}[3]، وكذا في عقاب أصحاب مدين قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}[4]، وقال تعالى: {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[5]، وذلك بعد ذكر نجاة شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه، أما في عقاب أصحاب الأيكة فقال الله سبحانه وتعالى: {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[6]، والجمهور يقولون: (أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة) ، وأجابوا عن عدم ذكر الأخوة في أصحاب الأيكة بأنهم لما كانوا يعبدون الأيكة، والأيك الشجر الملتف، وقد نسبوا إلى المكان الذي كانوا يسكنونه[7]، ووقع في صدر الكلام بأنهم أصحاب الأيكة، ناسب أن لا تذكر الأخوة هنا؛ فلا ينسب نبي الله إلى غيضة، وأجاب الجمهور أيضاً عن المغايرة في أنواع العذاب بأنه أصابهم ذلك العذاب جميعه، فإنهم أصابهم حر شديد، فخرجوا من البيوت، فأظلتهم سحابة، فاجتمعوا تحتها فرجفت بهم الأرض من تحتهم، وأخذتهم الصيحة من فوقهم[8].

كان قوم شعيب عليه السلام كفاراً، يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما، يأخذون بالزائد، ويدفعون بالناقص، ويفسدون في الأرض بعد إصلاحها، ويبغونها ذات اعوجاج، وهم بسعة ونعمة، فأرسل الله سبحانه وتعالى رجلاً منهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن فعل القبائح، قال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ

---

١. سورة الأعراف ٨٥.
٢ .ابن كثير إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية مرجع سابق، مجلد١، ص١٨٤.
٣. سورة الشعراء ١٧٦-١٧٨.
٤. سورة الأعراف ٩١.
٥. سورة هود ٩٤.
٦. سورة الشعراء ١٨٩.
٧ .الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ، المفردات مرجع سابق ص٣٠.
٨ .ابن حجر، احمد بن علي، فتح الباري، مرجع سابق، مجلد٦ ص ٤٥٠.

أخاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[١]، وحاورهم إذ عاتبوه وناقشوه؛ {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[٢].

لقد تلطفهم وهم به يهزأون، وحاول إصلاحهم وهم يصرّون على الفساد، وقال: لا تحملنكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم؛ فيحل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما أحله بنظرائكم وأشباهكم، قال: {وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[٣].

إن هذه الكلمات غنية عن الشرح والتفصيل، ومما لا يخفى أيضاً عنادهم وسوء صنيعهم، وكفرهم البليغ، إذ رأوا نبيهم ضعيفاً مهجوراً، لا عزة له إلا من خلال عشيرته، وهو تنقيص لا يخفى على أحد، ولذلك قال لهم: {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ}[٤]، وكدأب أكثر الأنبياء مع المعاندين يهددونهم؛ فقد هدده أشراف قومه بالإخراج؛ قال الله سبحانه تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[٥].

إنه مثال الداعية الصابر أمرهم بالوفاء بالكيل، وأن لا يكونوا من المخسرين، وأن يزنوا بالقسطاس المستقيم؛ أي: الميزان الدقيق العادل، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين، وأن يتقوا الله الذي خلقهم، وخلق الجبلة الأولين؛ أي: الأمم الماضين، فردوا عليه بأنه من المغلوب على عقولهم بكثرة السحر؛ {قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ}[٦]، فتأمل هذا الرد

---

١. سورة هود ٨٤-٨٥.
٢. سورة هود ٨٧-٨٨.
٣. سورة هود ٨٩-٩٢.
٤. سورة هود ٩٣.
٥. سورة الأعراف ٨٨-٨٩.
٦. سورة الشعراء ١٨٦.

العنيف على النبي البليغ الصابر المجاهد! حتى إنه ليقال فيه: خطيب الأنبياء؛ لبلاغته وفصاحته.

لكن القوم تمادوا، وكذبوه وطلبوا العذاب؛ لأنهم لم يتوقعوه قالوا: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ}[1]، فجمع الله سبحانه عليهم أنواعاً من العقوبات، وصنوفاً من المَثُلات، فسلط عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة، أخمدت الأصوات، قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[2]، وكان ذلك بعد أن تجمعوا تحت سحابة في يوم حرّ شديد؛ قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[3]، وقال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[4]، وجعلهم الله سبحانه وتعالى عبرة للمعتبرين؛ {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ}[5]، أي: كأن لم يعيشوا، ولم يقيموا فيها طويلاً، وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ}[6].

أما رسول الله شعيب عليه السلام فأعرض؛ قال تعالى: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ}[7].

---

١. سورة الشعراء ١٨٧-١٨٨.
٢. سورة الأعراف ٩١.
٣. سورة هود ٩٤.
٤. سورة الشعراء ١٨٩.
٥. سورة هود ٩٥.
٦. سورة الشعراء ١٩٠.
٧. سورة الأعراف ٩٣.

رسول الله أيوب
عليه الصلاة والسلام

رسول الله أيوب بن موص، من ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام؛ قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[1]، والضمير في قول الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ} عائد إلى إبراهيم عليه السلام.

أوحى الله سبحانه وتعالى إليه، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ}[2].

ذكر أيوب في القرآن الكريم أربع مرات في سور النساء والأنعام والأنبياء وسورة ص، ووصفه الله تعالى بأنه عبد أواب صابر، قال تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[3].

أصابه بلاء، أضر به حتى استغاث، قال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[4]، وقال تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ[5] وَعَذَابٍ}[6]، واختلف الناس في نوع ذلك البلاء، وذهبوا فيه مذاهب؛ وأكثرهم يرى أن البلاء كان بفقد الولد والمال وحلول المرض، لقوله تعالى في كشف الضر عنه: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ}[7]، وهذا هو الصواب؛ لما فيه من تجريد الأنبياء من الذنوب، ولا يخفى أن الأنبياء لا يصابون بالأمراض المنفرة؛ التي تنافي الدعوة إلى الله.

وملخص قصته[8] عليه السلام: أنه كان له أولاد وأهلون كثير، فسُلب من ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع البلاء، وظلّ قلبه ينبض ولسانه بذكر الله في ليله ونهاره، وطال مرضه حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وعافه القريب والبعيد، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، وهي بنت يوسف عليه السلام، ويقال: بنت يعقوب عليه السلام، ولا منافاة فالجد من الآباء، والحاصل أنها كانت ترعى حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تصلح شأنه، وتعينه على قضاء حاجاته، حتى ضعف حالها، وقلّ مالها، وهي صابرة على ما حلّ بهما

---

١. سورة الأنعام ٨٣-٨٤.
٢. سورة النساء ١٦٣.
٣. سورة ص ٤٤.
٤. سورة الأنبياء ٨٣.
٥. النصب: التعب، والإسناد إلى الشيطان بسبب وسوسته لأيوب، أو وسوسته إلى اتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي المجلد الثاني ص٣١٣.
٦. سورة ص ٤١.
٧. سورة ص ٤٢-٤٣.
٨. ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول ص ٢٢١ ، وابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، المجلد٦ ص ٤٢١.

من فراق المال والولد، وصابرة على ما يختص بها من المصيبة بالزوج، وقلة ذات اليد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن الأنبياء هم الأشد بلاء، وبالبلاء يزداد أحدهم صبراً واحتساباً، حتى أنه يضرب المثل بصبرهم، كما يضرب بصبر أيوب عليه الصلاة والسلام المثل؛ فيقولون: (صبر كصبر أيوب)؛ ذلك أنه آثر أن لا يطلب من الله دفع البلاء؛ وذلك لأنه قارن معيشته الصحيحة بمعيشة البلاء، فوجد الصحيحة أكثر!.

وتعلمت زوجته الصبر منه، حتى باعت إحدى ضفيرتيها لتأتي بالطعام، فلما وُضع بين يديه، سألها؟ فأخبرته، فجزع من هذا المآل، فقال تعالى مخبراً عن حاله: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[1]، ثم سجد وقال: وعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني، فكشف الله عنه، وأمره أن يضرب برجله، فخرج الماء الذي خصّه الله تعالى به للاستشفاء؛ قال تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}[2]، فشرب واغتسل، فأذهب الله عنه ما كان يجد من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله صحة ظاهرة، ولكي لا يحنث في يمينه أمره الله تعالى أن يأخذ عرجوناً فيه مائة شمراخ فيضرب زوجته ضربة واحدة؛ جزاء بيعها ضفيرتها، قال تعالى: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً[3] فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[4].

أما أولاده الذين ابتلاه الله تعالى بذهابهم فقد أنعم الله عليه بضِعف عددهم؛ قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ}[5]، وأما المال فأغدقه الله تعالى عليه بعد أن عوفي؛ فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (بَيْنَمَا أَيّوبُ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً خَرّ عَلَيْهِ رِجلٌ[6] جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ قال: فناداهُ رَبّهُ عَزّ وَجَلّ يَا أَيّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ؟ قالَ: بَلَى يَا رَبّ، وَلَكِنْ لا غِنَى بي عَنْ بَرَكَتِكَ)[7].

إنه جزاء الصابرين الشاكرين الصابرين، وذكرى للعابدين؛ قال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[8].

عاش أيوب عليه السلام بعدها أعواماً، وتوفي وكان عمره ثلاثة وتسعين عاماً، والظاهر أنه دفن بأرض حوران بالشام بدمشق؛ إذ هي موطنه، ولم يُذكر أنه رحل عنها، والله تعالى أعلم.

---

١. سورة الأنبياء ٨٣.
٢. سورة ص٤٢.
٣. الضغث: الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه، قاله البيضاوي في أنوار التنزيل، مجلد٦، ص ٤٢٠.
٤. سورة ص ٤٤.
٥. سورة ص ٤٣.
٦. أي: جماعة من الجراد، قاله ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق مجلد٦ ص ٤٢٠
٧. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء رقم الحديث٣٣٩١
٨. سورة الأنبياء ٨٣-٨٤.

رسول الله ذو الكفل
عليه الصلاة والسلام

رسول الله ذو الكفل بن أيوب عليهما السلام، ذكر في القرآن الكريم مرتين باسمه، مرة في سورة الأنبياء، وأخرى في سورة ص، وأكثر العلماء يرون أنه رسول كأبيه عليهما السلام، وأنهما رسولان إلى أهل دمشق، إذ ورد ذكر اسمه مقروناً بالأنبياء، ففي سورة الأنبياء قال الله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ}[1]، وفي سورة ص قال تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}[2]، قال ابن كثير: (فالظاهر من ذكره في القرآن الكريم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام، وهذا هو المشهور) انتهى[3].

ويقال: هو رجل تكفل من بعض الناس- أما من نبي وإما من ملك صالح- بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه؛ لحسن وفائه بما تكفل له، وجعله من المعدودين في عباده، مع مَن حمد صبرَه على طاعة الله، فقد روى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن الحارث (أن نبياً من الأنبياء قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب، فقال: أنا، فقال: تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب، فمات ذلك النبي، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس، فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه - وهو صائم يريد أن يَقيل- فضرب الباب ضرباً شديداً، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلاً، فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه، فأخذ بيده، فانطلق معه، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب[4]، فسمي ذا الكفل) انتهى[5].

والظاهر أنه رسول؛ بدليل ذكره مع الأنبياء في القرآن الكريم كما سبق آنفاً، ووصفه الله تعالى بأوصاف منها أنه:

١. من الصابرين: قال تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ}[6].
٢. من الصالحين: قال تعالى: {وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ}[7].
٣. من الأخيار: {وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الأَخْيَارِ}[1].

---

١. سورة الأنبياء ٨٥.
٢. سورة ص ٤٥-٤٩.
٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد١ ص ٢٢٥.
٤ . الذاهب هو الشيطان الذي تمثل بصورة انسان.
٥. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٢ المجلد التاسع ص٧٠.
٦. سورة الأنبياء ٨٥.
٧. سورة الأنبياء ٨٦.

هذا ما ذكر من سيرة رسول الله ذي الكفل عليه السلام، والظاهر أنه ابن نبي الله أيوب، وأنه من الذين منحهم الله سبحانه وتعالى لرسول الله أيوب عليه السلام، بعد انتهاء الابتلاء؛ فلم يكن من الذين شهدوا ابتلاءه، وقد يكون هو وريثه، وهو الذي تكفل بعلمه من بعده، وعليه تكون حياته ووفاته بدمشق، والله تعالى أعلم.

---

[١]. سورة ص ٤٨.

رسول الله موسى
عليه الصلاة والسلام

رسول الله موسى بن عمران، من ذرية رسول الله يعقوب عليه السلام، ورد اسمه في القرآن مائة وستاً وثلاثين مرة، في أربع وثلاثين سورة، وهو أكثر نبي ذكر باسمه في القرآن.

أرسله الله تعالى إلى أهل مصر؛ قال تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}[1] ، ودليل رسالته أيضاً ظاهر من آيات كثيرة؛ كقول الله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[2].

وُصف في القرآن بأوصاف جليلة، مباركة؛ من أشهرها أنه:

١. كليم الله؛ قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[3].

٢. مُخلص مُقرّب؛ قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}[4].

٣. مُبرّأ ذو وجاهة؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا}[5] ، ذلك أنه كان حيّياً ستّيراً؛ لا يُرى من جلده شيء، فاتهمه بنو إسرائيل بوجود عيب في جسده، وأراد الله سبحانه تبرئته مما قالوا؛ فجرى ما ذكره الرسول ﷺ؛ إذ قال: (فخلا يَوْماً وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَر، ثمّ اغتسَلَ، فلمّا فرَغ أقبَلَ إلى ثِيَابِهِ ليَأْخُذَهَا، وإنّ الحَجَرَ عَدَا بثَوْبِهِ، فأخذ مُوسَى عَصَاهُ عُرْيَاناً أحْسَنَ ما خلقَ الله، وَأبْرَأهُ مِمّا يَقولونَ، وقامَ الحَجَرُ فأخذ ثَوْبَهُ فلبسَهُ، وَطفِقَ بالحَجَرِ ضَرْباً بعَصَاهُ، فوَالله إنّ بالحَجَرِ لنَدْباً مِنْ أثرِ عَصَاهُ ثلاثاً أوْ أرْبَعاً أوْ خمْساً) رواه البخاري[6].

إن قصص موسى عليه السلام كثيرة ومتشعبة، وهي في ثنايا الكتب؛ مبسوطة تارة، وموجزة تارة أخرى، ومن المطولات قصته مع فرعون، ومع قومه، ومن الموجزة مع الخضر ومع قارون، والوقوف عليها جميعاً صعب المنال والاستيعاب، ولكنه يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أولاً: ولادته ونشأته في بيت فرعون ونبوته: كان عهد فرعون مصر مليئاً بالظلم والاستبداد، وكان قد علا على أهل مصر واستضعفهم؛ قال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}[7]، وكان الباعث له على هذا الصنيع الشنيع أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون ما أشتهر بينهم؛ من وعد الله لإبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته غلاماً، يكون هلاك ملك مصر على يديه، وتحدث القبط بهذه

١. سورة الأعراف ١٠٣.
٢. سورة البقرة ٥٣.
٣. سورة النساء ١٦٤.
٤. سورة مريم ٥١-٥٢.
٥. سورة الأحزاب ٦٩.
٦. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث ٣٤٠٤.
٧. سورة القصص ٤.

البشارة، فبلغت فرعون، فأمر بقتل الأبناء؛ حذراً من وجوده، فأوشك بنو إسرائيل على الفناء، وخافوا ذهاب الخدم والعمال؛ فقتلوا عاماً، وسمحوا عاماً، فولِد هارون عليه السلام عام السماح، وحملت أم موسى به في عام القتل، فضاقت به ذرعاً، واستترت لئلا تظهر عليها مخايل الحمل، ثم ولدته، وكان بيتها متاخماً لنهر النيل؛ فألهمها الله تعالى: {أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[1]، ففعلت وقد أيقنت أنه لا يغني حذر من قدر؛ {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ}[2] ، فبلغها الخبر، فجزعت، وهمّت بإظهار أمرها ووليدها، {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[3]، ووصل إلى بيت عدوه؛ لتبدأ قصة قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}[4]؛ إذ طمعت امرأة فرعون الصالحة النقية بالولد، وأعجبها حسنه وجماله، وقالت لفرعون: {قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}[5]؛ فحصل الذي كان يحترز منه فرعون، ولم يكن مرباه إلا في داره وعلى فراشه! أما أم موسى فهدأت؛ {وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}[6]، وسما منها البصر بكل حذر واحتياط، وهو قريب منها، وعناية الله أقرب وآكد.

إن أمر الله نافذ لا محالة؛ ولو كره الكافرون؛ فتأمل قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}[7] ، وبنجاة موسى عليه السلام تحقق واحد من أمرين؛ منّ الله بهما عليه؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}[8]، وأما الثاني فجعل نبي الله هارون عليه السلام وزيراً له؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا}[9]، وذلك لمّا بلغ سنّ النبوة، وأوحى الله إليه، وتحققت البشارة لأمه بقوله: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[10] ، وأما المُوحى به إليه فالصحف؛ قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[11].

ثانياً: خروجه من مصر: بينما موسى عليه السلام في نواحي المدينة إذ برجلين يقتتلان، فرعوني وإسرائيلي من شيعته، {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ

---

١. سورة القصص ٧.
٢. سورة القصص ٨
٣. سورة القصص ١٠.
٤. سورة القصص٥.
٥. سورة القصص ٩.
٦. سورة القصص ١١.
٧. سورة القصص ١٢-١٣.
٨. سورة طه ٣٧-٣٩.
٩. سورة الفرقان ٣٥.
١٠. سورة القصص ٧.
١١. سورة الأعلى ١٨-١٩.

عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ}[1]، ووصل الخبر إلى فرعون فطلبه ليقتله، نظير قتل الفرعوني، وبينما هم يطوفون، وقد خرج يترقب الأخبار بحذر، {فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ}[2]، وانطلق الفرعوني، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي، فأرسل فرعون الذباحين؛ ليقتلوا موسى، {وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[3]، واتجه نحو مدين في الشام.

ثالثاً: وروده ماء مدين وإقامته فيها وزواجه: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[4]؛ لقد هيأ الله له زواجاً مُباركاً، وأتم موسى عليه السلام الأجلين، وأكملهما عشر سنوات؛ لتكون مهراً لزوجته الصالحة، التي أنشأ منها أسرة مباركة طيبة.

ويُذكر هنا أن المراد بالشيخ الكبير رسول الله شعيب عليه السلام في أرجح الآراء[5]، وليس في القرآن نص على ذلك؛ وهو في الأحوال كافة رجل صالح خيّر؛ يظهر ذلك جلياً من سلوك ابنتيه، وإيوائه موسى عليه السلام وقت فراره من فرعون طاغية العصر آنذاك.

رابعاً: عودته إلى مصر: اشتاق لأهله فسار بزوجته وأولاده، فوافق مسيره ليلة مظلمة باردة، فتاهوا ولم يهتدوا إلى الدرب المألوف، فأبصر ناراً تأجج في جانب الطور[6] بالوادي المقدس طوى، فقال لأهله: {إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ

---

١. سورة القصص ١٥-١٧.
٢. سورة القصص ١٨-١٩.
٣. سورة القصص ٢٠-٢١.
٤. سورة القصص ٢٢-٢٧.
٥. انظر باقي الأقوال في البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد ١، ص٢٤٤.
٦ . اختلف العلماء في الطور؛ أين هو؟ وأكثرهم يرى أنه قرب نابلس ومطلّ على طبرية، وبعضهم يرى أنه بين معان- أرض مدين- في الأردن وبين مصر، ولعلهم استأنسوا بما في القرآن {طُورِ سَيْنَاءَ} سورة المؤمنون ٢٠، والأول أقرب؛ لأن موسى عليه السلام تاه وهو في طريق العودة، والله أعلم.

فلمَّا رَآهَا تهْتزّ كأنَّهَا جَانٌ وَلَى مُدْبرًا وَلمْ يُعَقبْ يَا مُوسَى لا تخفْ إنّي لا يَخافُ لدَيَّ المُرْسَلونَ}[1]، كان يبتغي الهداية إلى الطريق والدفء، فهداه الله وباركه، واقتبس من النور والأنس ما لا يقدّر قدره؛ وكلمه ليكون كليمِ الله؛ {فلمَّا أتاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إنّي أنا رَبُّكَ فاخلعْ نعْليْكَ إنّكَ بالوَادِ المُقدَّسِ طوًى وَأنا اخترْتكَ فاسْتمِعْ لِمَا يُوحَى إنّنِي أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا فاعْبُدْنِي وَأقِمِ الصَّلاة لِذِكْرِي إنَّ السَّاعَة آتِيَة أكادُ أخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نفْسٍ بمَا تسْعَى فلا يَصُدَّنّكَ عَنهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بهَا وَاتّبَعَ هَوَاهُ فترْدَى وَمَا تِلكَ بيَمِينِكَ يَا مُوسَى قالَ هِيَ عَصَايَ أتوَكّأ عَليْهَا وَأهُشُّ[2] بهَا عَلى غنمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخرَى}[3]، لقد أطال الكلام وفصّله؛ لأنه استمتع بحلاوة التكليم، حيث النعيم الخالد والسعادة السرمدية.

إنها بداية التكليف بالدعوة، والتأييد بالمعجزات؛ فالعصا دليل خارق وبرهان قاطع؛ {قالَ ألقِهَا يَا مُوسَى فألقاهَا فإذا هِيَ حَيَّة تسْعَى}[4]، والعصا هي البرهان الأول، وأما الثاني فيده؛ إذا أدخلها في جيبه وأخرجها خرجت بيضاء، وإذا خاف وضعها على فؤاده فيسكن؛ قال تعالى: {اسْلكْ يَدَكَ فِي جَيْبكَ تخرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إليْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فذانِكَ بُرْهَانانِ مِن رَّبّكَ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلئِهِ إنّهُمْ كانوا قوْمًا فاسِقِينَ}[5]، وخاف موسى عليه السلام من مواجهة الطاغية؛ {قالَ رَبِّ إنّي قتلتُ مِنهُمْ نفْسًا فأخافُ أن يَقتلونِ}[6]، فطمأنه الله تعالى؛ وآزره وبشره؛ {قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيكَ وَنجْعَلُ لكُمَا سُلطانًا فلا يَصِلونَ إليْكُمَا بآيَاتِنَا أنتُمَا وَمَنِ اتّبَعَكُمَا الغالِبُونَ}[7].

خامساً: قصته مع فرعون: وصل الكليم إلى مصر، بلد فرعون؛ فدعاه إلى عبادة الله، وأن يفك بني إسرائيل من قبضته وسطوته، فتكبّر فرعون؛ {قالَ ألمْ نرَبّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلبثتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفعَلتَ فعْلتكَ التِي فعَلتَ وَأنتَ مِنَ الكافِرِينَ قالَ فعَلتُهَا إذًا وَأنا مِنَ الضَّالّينَ ففرَرْتُ مِنكُمْ لمَّا خِفتُكُمْ فوَهَبَ لِي رَبّي حُكْمًا وَجَعَلنِي مِنَ المُرْسَلِينَ وَتِلكَ نِعْمَة تمُنّهَا عَليَّ أنْ عَبَّدتَّ بَنِي إسْرَائِيلَ قالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالمِينَ قالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ قالَ لِمَنْ حَوْلهُ ألا تسْتمِعُونَ قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ قالَ إنَّ رَسُولكُمُ الذِي أرْسِلَ إليْكُمْ لمَجْنُونٌ قالَ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَمَا بَيْنهُمَا إن كُنتُمْ تعْقِلونَ}[8].

أراد أن يقيم الحجة عليهم مع المحافظة على أمر الله؛ {اذهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنّهُ طغَى فقولا لهُ قوْلا لّيِّنًا لّعَلّهُ يَتذكّرُ أوْ يَخْشَى}[9]، فأصرّ فرعون وعتا وتكبّر؛ {قالَ لئِنِ اتّخَذتَ إلهًا غيْرِي لأجْعَلنّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ قالَ أوَلوْ جِئْتُكَ بشَيْءٍ مُّبِينٍ قالَ فأتِ بهِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فألقَى عَصَاهُ فإذا هِيَ ثعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنزَعَ يَدَهُ فإذا هِيَ

---

١. سورة النمل ٧-١٠.
٢. هَشَّ الورقَ: خبطه بالعصا، أي: أضرب بها ورق الشجر؛ لتأكل الغنم.
٣. سورة طه ١١-١٨.
٤. سورة طه ١٩-٢٠.
٥. سورة القصص ٣٢.
٦. سورة القصص ٣٣.
٧. سورة القصص ٣٥.
٨. سورة الشعراء ١٨-٢٨.
٩. سورة طه ٤٣-٤٤.

بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ}[1]، حينئذٍ قالوا: {إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُواْ أَرْجِهْ[2] وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ}[3]، وأجمعوا أن يختار موسى يوماً معلوماً مشهوداً؛ {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى}[4].

واجتمع السحرة، ووعظهم موسى عليه السلام، وحثهم على الصدق، وأن لا يفتروا على الله الكذب؛ {فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى}[5]، وما أقدموا إلا وهم مستعلون بعزة فرعون؛ طمعاً بجوائزه وعطاياه، {قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ[6] وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ}[7]، لكنه الإيمان عن تحقق، وبعد انكشاف الغشاوة عن قلوبهم؛ فقد انغرس في قلوبهم من الإيمان ما يعادل الجبال علواً، والأرض اتساعاً، ولذلك قالوا لفرعون: {لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[8]، وقالوا:{إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}[9]، ثم هددهم فرعون، فأجابوا:{قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ}[10].

لقد عذبهم فرعون، وزاد تضيقاً على أتباع موسى عليه السلام لمّا قال أتباعه: {أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ

---

١. سورة الشعراء ٢٩-٣٣.

٢. أرجه: أخره.

٣. سورة الأعراف ١٠٩-١١٢.

٤. سورة طه ٥٩-٦٠.

٥. سورة طه ٦٢-٦٤.

٦. قال تعالى:{فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} طه (٦٦-٦٩).

٧. سورة الأعراف ١١٣-١٢٤.

٨. سورة طه ٧٢.

٩. سورة الأعراف ١٢٥-١٢٦.

١٠. سورة الشعراء ٥٠-٥١.

فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[1] ، لكنّ بني إسرائيل شددوا على نبيهم، فابتلاهم الله بأنواع البلايا؛ التي أضحت بعد ذلك آيات بينات، تؤيد نبوة موسى عليه السلام، وهي الآيات المذكورة في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}[2]، وهي المبسوطة في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}[3].

سادساً: هلاك فرعون وجنوده: تمادى فرعون في عناده، وخافه الناس؛ {فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ}[4] ، فميّز موسى بيوت أتباعه؛ ليكونوا على أهبة الرحيل، وأوحى الله إليه وإلى أخيه {أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً[5] وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[6]، فرفع أكف الضراعة، وقال: {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}[7]، وأوحى إليه {أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ}[8]، وتبعوهم، {فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}[9]، فضرب موسى عليه السلام طريقاً يبساً في البحر، {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى}[10]؛ ذلك أنه لمّا أدركه الغرق: {قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[11]، وظلّ الذي كان يدّعي الألوهية على الساحل جثة هامدة، ودمّر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون، وانتقم للذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، وكان إهلاك فرعون يوم عاشوراء؛ الذي يصومه المسلمون شكراً لله تعالى على نجاته عليه السلام.

---

١. سورة الأعراف ١٢٧-١٢٩.
٢. سورة الإسراء ١٠١.
٣. سورة الأعراف ١٣٠-١٣٣.
٤. سورة يونس ٨٣.
٥ . قبلة: متقابلة لتتميّز، أو مساجد ليستعينوا بالصلاة فيها على قضاء حاجتهم.
٦. سورة يونس ٨٧.
٧. سورة يونس ٨٨-٨٩.
٨. سورة الشعراء ٥٢-٥٦.
٩. سورة الشعراء ٦١-٦٣.
١٠. سورة طه ٧٨-٧٩.
١١. سورة يونس ٩٠-٩٢.

سابعاً: قصته مع بني إسرائيل: جاوز بهم البحر باتجاه الشام، ومرّوا على قوم يعكفون على عبادة أصنام على هيئة البقر، وزعموا أنها تنفع وتضر، فنسي بنو إسرائيل نعمة الله عليهم؛ بنجاتهم وإهلاك عدوهم، وهم ينظرون، وتفضيلهم على عالمي زمانهم؛ فقالوا: {يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}[1].

وسار بهم باتجاه بيت المقدس، وواجه بلاد الجبارين؛ فأمر بمقاتلتهم؛ قال: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}[2]، فعاقبهم الله تعالى بالتيهان؛ {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}[3].

وفي التيه حدثت أمور عجيبة؛ منها تكليم موسى، وإلقاء الألواح التي تتضمن الشريعة؛ قال تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}[4].

وظهر السامري، فأخذ قبضة من ترابٍ، من أثر فرس جبريل، أو من أثر موسى عليه السلام، فصنع هيئة عجل مجوّف، يدخل الهواء فيه ويخرج، وابتلاهم الله به لمّا سمعوا له صوتاً يشبه صوت العجل؛ فعبدوه من دون الله، ولمّا سأله موسى عليه السلام {قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي}[5]؛ لقد أشركوا رغم إغداق النعم عليهم في التيه؛ فالمنّ والسلوى طعام حلو ولحم طير، كانوا منهما يأكلون، ولما استسقى نبيهم وضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، كانوا منها يشربون.

---

١. سورة الأعراف ١٣٨-١٤١.
٢. سورة المائدة ٢١-٢٥.
٣. سورة المائدة ٢٦.
٤. سورة الأعراف ١٤٢-١٤٥.
٥. سورة طه ٩٥-٩٦.

حدث ذلك لمّا غاب نبيهم، وسبق قومه ليكلمه ربّه، وتخلفوا عنه، وسأله الله سبحانه وتعالى فقال: {وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}[1]، قال موسى عليه السلام: {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[2].

ودعا ربّه، فغفر لهم، وعفا عنهم؛ قال تعالى: {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[3]، ولقد كانت توبتهم بأن يأخذ كل واحد منهم السيف، وينزل في الظلمة، ويضرب به دون تمييز، وندب موسى عليه السلام خيارهم، وهم الأحرى أن يكونوا قومه، ليستغفروا، فرجف الله بهم، فدعا موسى عليه السلام فكشف عنهم؛ قال تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}[4].

وجاءهم بالألواح التي تتضمن مبادئ الشريعة، وفي نسختها التوراة أيضاً، وأمرهم بقبولها، فقالوا انشرها علينا؛ فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها، وإلا فلا، فرفعت الملائكة الجبل فوقهم حتى صار كالغمامة، وقيل لهم: إن لم تقبلوا سقط عليكم؛ قال الله تعالى: {وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[5]؛ فطلبوا عناداً وعتواً رؤية الله! فقالوا لنبيهم: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[6].

ثامناً: قصة بقرة بني إسرائيل: قتل رجل من بني إسرائيل، وطرح في مجمع الطرق، وخفي على الناس قاتله؛ فقالوا: ما لكم لا تأتون نبي الله؛ فأتوه؛ فأوحي إليه؛ قال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[7]، ولو عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود، ولكنهم شددوا فشددّ الله عليهم؛ إذ لمّا سألوا {قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ

---

١. سورة طه ٨٣-٨٧.
٢. سورة الأعراف ١٥٠.
٣. سورة البقرة ٥٢-٥٤.
٤. سورة الأعراف ١٥٥.
٥. سورة الأعراف ١٧١.
٦. سورة البقرة ٥٥-٥٧.
٧. سورة البقرة ٦٧.

يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِين قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ}[1]؛ ولولا أن بني إسرائيل استثنوا- قالوا: {وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ}- لما أعطوا، وضيّق الله عليهم بصفات البقرة، وكونها غير مذللة، سليمة من العيوب، ذات لون أصفر خالص، ولمّا ذبحوها أمرهم بضربه ببعضٍ منها؛ {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[2]، ولكن قلوبهم قست، فلم يعتبروا بآيات الله.

تاسعاً: قصته مع الخضر: سأل موسى عليه السلام عن أعلم الناس، فأخبره الله تعالى عن عبدٍ بمجمع البحرين، وأرشده إلى أن علامة ملاقاته فقدان الحوت، فرحل إليه؛ وقال: {لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}[3]، وانطلق حتى إذا بلغه وفقد الحوت وجد العبد الصالح؛ {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}[4]، ووعده أن يبقى معه صابراً يتعلم دون اعتراض، فانطلقا وخرق السفينة، فاعترض فلامه الخضر، فاعتذر؛ ثم انطلقا فقتل غلاماً فاعترض موسى، فلامه الخضر، فندم موسى عليه السلام {قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا}[5]؛ فانطلقا حتى إذا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}[6]؛ فنبأه أن خرق السفينة لمصلحة المساكين؛ لأنها حينئذٍ ستنجو من الظالم؛ الذي يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وأما الغلام فوجوده غير مناسب لصلاح الأبوين، فأراد بإرادة الله تعالى: {أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا}[7]، والجدار تحته كنز؛ فأقامه حتى يبلغ الغلامان، فإذا بلغا أخذا كنزهما؛ فتعلم موسى عليه السلام، وعلمنا كيف يتأدب المُتعلم أمام معلمه، واختلف في الخضر، هل هو نبي أو رجل صالح؟ كما اختلف في مجمع البحرين، أين هو؟ وليس في القرآن الكريم أكثر مما ذكرت، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

عاشراً: قصته مع قارون: وقارون من قوم موسى، قال تعالى: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}[8]، وكان لقارون مع موسى عليه السلام قصة عجيبة، وردت في سورة القصص، وملخصها أنه أهلكه البغي لكثرة ماله وكنوزه، التي بلغت من الكثرة أن مفاتحه كان يثقل حملها على الرجال الشداد، فدعاه موسى عليه السلام إلى عدم البطر والفخر

---

١. سورة البقرة ٦٨-٧١.
٢. سورة البقرة ٧٣.
٣. سورة الكهف ٦٠.
٤. سورة الكهف ٦٦-٦٧.
٥. سورة الكهف ٧٦.
٦. سورة الكهف ٧٧-٧٨.
٧. سورة الكهف ٨١.
٨. سورة العنكبوت ٣٩.

على الناس بماله، قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[1].

فاستكبر على موسى عليه السلام وقال: إنما أعطاني الله هذا المال لحبه إياي دونك، وقال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}[2]، ولم يدر أن لا علاقة بين كثرة المال وحب الله، إذ لو كان صحيحاً ما قال لم يعاقب الله أحداً من الأغنياء، ولذا أجابه الله تعالى: {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}[3]، ثم تحدّى {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}[4]، فلما رآه الذين يعظمون زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله، فلما سمع مقالتهم العلماءُ الألبّاء قالوا: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ}[5]، لكن قارون عاند فاستحق العذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى:{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}[6]، فجعله الله عبرة للمعتبرين؛ {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[7].

هذا ملخص سيرة موسى عليه السلام، وهي طويلة كثيرة العبر، ولما دنا أجله، وأتاه ملك الموت، رده موسى عليه السلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنْ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ) رواه البخاري[8]، والكثيب: الرمل المجتمع.

وزعم بعضهم أن قبر موسى عليه السلام بمدين، بين المدينة وبيت المقدس، واشتهر أن قبر موسى عليه السلام بأريحا، والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام توفي في التيه، فالله تعالى أعلم.

---

١. سورة القصص ٧٦-٧٧.
٢. سورة القصص ٧٨.
٣. سورة القصص ٧٨.
٤. سورة القصص ٧٩.
٥. سورة القصص ٨٠.
٦. سورة القصص ٨١.
٧. سورة القصص ٨٢.
٨. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث ٣٤٠٧.

رسول الله هارون
عليه الصلاة والسلام

هارون بن عمران عليه السلام، شقيق رسول الله موسى عليه السلام، ولد هارون في عام المسامحة، إذ كان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل عاماً، ويدع القتل عاماً آخر، كما سبق بيانه في قصة موسى عليه السلام.

ورد اسم هارون عليه السلام في القرآن الكريم عشرين مرة، في ثلاث عشرة سورة، منها تسع عشرة مرة يُراد بها النبي بالاتفاق، وأما قوله تعالى: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}[1] فليس المراد به النبي؛ إذ بينه وبين مريم قرون كثيرة، فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: (لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي؛ فقالوا: إنكُمْ تقْرَؤُونَ: {يَا أُخْتَ هَرُونَ}، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بكذا وَكذا، فلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فقال: إِنَهُمْ كَانُوا يُسَمّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ)[2] ، فالمراد أنهم شبهوها بعابد من عُباد زمانهم، كانت مريم تساميه في العبادة.

أرسله الله تعالى إلى فرعون وبني إسرائيل في مصر، ودليل رسالته قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[3]، ولكنه لم يكن مستقلاً في رسالته، وإنما كان معاوناً لموسى عليه السلام ووزيراً له، ذلك أن موسى عليه السلام لمّا أمره الله سبحانه بدعوة فرعون، وكان بينه وبين فرعون ما سلف ذكره من قصته بقتل الفرعوني، {قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ}[4]، وفي سورة الشعراء {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ}[5]، وفي سورة طه {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا}[6]، فأجاب الله دعاءه قال تعالى: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}[7]، وقال تعالى: {قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ}[8]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا}[9]، وقال تعالى:

---

١. سورة مريم ٢٨.
٢. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢، مجلد٧، ج١٤، ص١١٦.
٣. سورة النساء ١٦.
٤. سورة القصص ٣٣-٣٤.
٥. سورة الشعراء ١٢-١٣.
٦. سورة طه ٢٥-٣٥.
٧. سورة طه ٣٦.
٨. سورة القصص ٣٥.
٩. سورة الفرقان ٣٥.

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا}[1]، ووُصف هارون عليه السلام في القرآن الكريم بكثير من الأوصاف الجليلة منها:

أولاً: أنه من المحسنين، قال تعالى: {وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[2].

ثانياً: أن الله آتاه الضياء والفرقان والذكر؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ}[3].

ثالثاً: أنه من الناجين من الكرب، ومن المنصورين الغالبين المهديين؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[4].

رابعاً: أنه من العباد المؤمنين؛ قال تعالى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}[5].

أجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام فأوحى إلى هارون، وأعلمه بقفول موسى عليه السلام من مدين، فخرج من مصر، فالتقى به، قال موسى: يا هارون، إن الله تعالى قد أرسلنا إلى فرعون، فانطلق معي إليه، قال: سمعاً وطاعة[6]، وأوحى الله إليهما أن لا يفترا عن ذكره، وأن يقولا لفرعون قولاً ليناً، قال تعالى: {اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[7]، ثم حاوراه، ودللا على أنهما رسولان أرسلهما الله إليه، فأنكر، وجمع الناس؛ قال الله تعالى: {قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى}[8]، وأظهر الله تعالى أمر موسى على السحرة، فآمنوا به، وعذبهم فرعون، وأصروا على الإيمان، وأما فرعون وجماعته {فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}[9]، وأهلك الله تعالى فرعون وأعوانه، وأغرقه بعد أن جاوز بموسى وهارون وبني إسرائيل البحر، وفي التيه واعد الله موسى أربعين ليلة؛ ليكلمه فيها، {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[10]، وفتنهم السامري؛ كما سبق في قصة موسى عليه السلام، ونهاهم رسول الله

---

١. سورة مريم ٥٣.
٢. سورة الأنعام ٨٤.
٣. سورة الأنبياء ٤٨.
٤. سورة الصافات ١١٤-١١٨.
٥. سورة الصافات ١١٩-١٢٢.
٦. ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، مجلد١،ص١٠١.
٧. سورة طه ٤٢-٥٠.
٨. سورة طه ٦٣.
٩. سورة المؤمنون ٤٦-٤٧.
١٠. سورة الأعراف ١٤٢.

هارون عليه السلام فعصوا؛ قال الله تعالى: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى}[1]، فعبدوه من دون الله، وموسى عليه السلام يناجي أربعين يوماً، فأخبره الله خبر قومه، وأنهم عبدوا العجل؛ ورجع موسى أسفاً يعاتب قومه، وألقى الألواح التي تتضمن الهداية غضباً؛ {قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي}[2]، {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[3]، وفي سورة طه {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[4]، فاستغفر موسى لما سمع الحجة {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[5]، توفي هارون عليه الصلاة والسلام قبل موسى عليه السلام إبان التيه، وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم.

---

١. سورة طه ٨٨-٩١.
٢. سورة طه ٩٢-٩٣.
٣. سورة الأعراف ١٥٠.
٤. سورة طه ٩٤.
٥. سورة الأعراف ١٥.

رسول الله إلياس
عليه الصلاة والسلام

رسول الله إلياس عليه السلام، من نسل رسول الله هارون عليه السلام في أرجح الأقوال، وقد ذكر في القرآن الكريم مرتين باسم إلياس في الأنعام والصافات، وأكثر قصته في هذه السورة الأخيرة، وفيها ذكر باسم إلياسين، والعرب تلحق الياء والنون في أسماء كثيرة، وتبدلها من غيرها، كما قالوا: إسماعيل واسماعين[1]، ودلّ على أن إلياسين هو إلياس عليه السلام أن الله تعالى أخبر في هذه السورة في كل موضع ذكر فيه نبياً من الأنبياء بأن السلام عليه، ففيها ذكر إبراهيم عليه السلام، ثم قال سبحانه: {سَلامٌ عَلى إِبْرَاهِيمَ}[2]، وذكر موسى وهارون ثم قال سبحانه: {سَلامٌ عَلى مُوسَى وَهَارُونَ}[3]، فكذلك ذكر إلياس؛ فقال سبحانه: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ}[4]، إلى أن قال تعالى: {سَلامٌ عَلى إِلْ يَاسِينَ}[5]، وهذه الآيات دليل رسالته عليه الصلاة والسلام، كما يدل على رسالته قوله تعالى: {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ}[6]، فذكره مع الأنبياء، ووصفه بالصلاح مثلهم.

يقال: إن إلياس عليه السلام هو إدريس عليه السلام، قال البخاري[7]: (يُذكر عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أن إلياس هو إدريس)، ولم يجزم به البخاري[8]، فالراجح أن إلياس نبي إلى بني إسرائيل، وأنه من نسل هارون عليه السلام؛ ولذلك وردت قصته بعد قصة موسى عليه السلام في سورة الصافات.

أما ملخص قصته، فقد أرسله الله إلى أهل بعلبك، غربي دمشق، فدعاهم إلى تقوى الله تعالى، قال الله سبحانه تعالى: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ}[9]، وإنما دعاهم إلى تقوى الله تعالى؛ لأنهم كانوا يشركون بالله؛ فيعبدون صنماً، كانوا يسمونه بعلاً، ولذلك قال لهم إلياس عليه السلام: {أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ}[10]، فكذبوه وخالفوه، وأرادوا قتله، ففرّ منهم واختفى، وليس في القرآن الكريم أن الله تعالى عاقبهم، أو عذبهم بشيء في الدنيا، وإنما أرجأ عقابهم إلى أن تحضرهم الزبانية يوم القيامة، قال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ}[11].

---

١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد١، ص٣٣٩.
٢. سورة الصافات ١٠٩.
٣. سورة الصافات ١٢٠.
٤. سورة الصافات ١٢٣.
٥. سورة الصافات ١٣٠.
٦. سورة الأنعام ٨٥.
٧. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ}...الخ.
٨. قال ابن حجر: (أما قول ابن مسعود فوصله عبد بن حميد، قال: إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل، وأما قول ابن عباس فوصله جويبر عن الضحاك ، وإسناده ضعيف، ولهذا لم يجزم به البخاري) فتح الباري٦/ ص٣٧٣.
٩. سورة الصافات ١٢٣-١٢٤.
١٠. سورة الصافات ١٢٥-١٢٦.
١١. سورة الصافات ١٢٧-١٢٨.

وُصف إلياس عليه السلام في القرآن الكريم بالأوصاف الجليلة الكثيرة، منها:

١. أنه من جملة الأنبياء الصالحين؛ قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ}[١]، ثم وُصف بعدها مع الأنبياء بأنهم مهديون إلى صراط مستقيم.

٢. أنه من المرسلين قال تعالى: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ}[٢].

٣. أن الله أبقاه مذكوراً بالخير والذكر الحسن في العالمين بعد وفاته، قال تعالى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ}[٣].

٤. أنه من المحسنين المؤمنين العابدين، قال تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}[٤].

ولم يُذكر في القرآن شيء عن عمره، ولا مكان وفاته، ولا مكان دعوته، والظاهر أن وفاته حيث ذكر المؤرخون من مكان دعوته إلى الله، وهو بعلبك، والله تعالى أعلم وأحكم.

---

١. سورة الأنعام ٨٥.
٢. سورة الصافات ١٢٣.
٣. سورة الصافات ١٢٩-١٣٠.
٤. سورة الصافات ١٣١-١٣٢.

رسول الله اليسع
عليه الصلاة والسلام

رسول الله اليسع بن أخطوب عليه السلام، من نسل رسول الله هارون عليه السلام، أرسله الله تعالى بعد رسول الله إلياس عليه السلام إلى أهل بعلبك من بني إسرائيل، ذكر رسول الله اليسع في القرآن الكريم مرتين، أولاهما في سورة الأنعام، والثانية في سورة ص، ووصفه الله تعالى فيهما بصفات جليلة عظيمة؛ ففي سورة الأنعام وصفه الله تعالى بأنه ممن فضّلهم الله تعالى على العالمين، وهم الذين اجتباهم مع ذرياتهم وإخوانهم وهداهم إلى الصراط المستقيم، وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة، ولذلك أمر الله سبحانه رسول الله محمداً ﷺ بالاقتداء به وبهم، والسير على طريقهم، قال الله سبحانه وتعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}[1]، وفي سورة ص وصف الله سبحانه وتعالى رسوله اليسع عليه السلام بالخيرية؛ إذ ذكره من جملة الأخيار؛ قال الله تعالى: {وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ}[2]، وفي هذه الأوصاف ما يغني عن ذكر أدلة رسالته عليه الصلاة والسلام، فهي أنصع الأدلة وأقواها.

ليس في القرآن الكريم ذكر لقصة اليسع عليه السلام مع قومه، وفي كتب التاريخ أنه ابن عم إلياس عليهما السلام فيما يقال، وأنه كان بعده، ومكث ما شاء الله أن يمكث؛ يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته، ويقال: كان مستخفياً معه بجبل قاسيون؛ خوفاً من ملك بعلبك، ثم ذهب معه، فلما قبض إلياس عليه السلام خلفه رسول الله اليسع عليه السلام في قومه، ونبأه الله تعالى بعده[3].

إن في سيرة هذا النبي الكريم ﷺ خفاء، يتمثل في ولادته وقومه، ودعوته لهم، وحياته، ووفاته، ولكنه من أنبياء الله الأبرار عليه وعليهم الصلاة والسلام، الذين ينبغي أن نؤمن بهم، وإن تعذر علينا معرفة رسالاتهم وأحوالهم مع أقوامهم، ويكفينا أنه من المصطفين الأخيار الأبرار.

---

١. سورة الأنعام ٨٦-٩٠.
٢. سورة ص ٤٨-٥٠.
٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج٢ ص٤.

رسول الله داود
عليه الصلاة والسلام

رسول الله داود بن إيشا، من ذرية رسول الله يعقوب عليه السلام، عبد الله ورسوله ومصطفاه من عباده، ودليل ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكره مع جملة الأنبياء؛ فقال سبحانه: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[1].

وهو رسولٌ إلى بني إسرائيل، ولذلك لعنهم لمّا خالفوه؛ قال الله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}[2]، وجعله الله تعالى خليفة في أرض بيت المقدس؛ قال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[3]، وأما كتاب داود عليه السلام فهو الزبور؛ أي: الكتاب؛ قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[4]، ويذكر أن في الزبور مائة وخمسين سورة، كلها ثناء ومواعظ[5].

وردت كلمة داود في القرآن ست عشرة مرة، في تسع سور، وأكثر قصته في سورة ص الشريفة، وقد وصفه الله تعالى بصفات جليلة كثيرة؛ منها:

١. أنه من المهديين المحسنين؛ قال تعالى: {وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[6].
٢. أنه القوي التواب الموقن؛ قال تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[7].
٣. آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، ووثق ملكه، وقوّاه بالنصر والتأييد؛ قال تعالى: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}[8].
٤. أنه الخليفة لمن كان قبله من الأنبياء والأئمة الصالحين في أرض بيت المقدس؛ قال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[9].

---

١. سورة الأنعام ٨٣-٨٤.
٢. سورة المائدة ٧٨.
٣. سورة ص ٢٦.
٤. سورة النساء ١٦٣.
٥. قاله قتادة، انظر ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، مرجع سابق، ج٦، ص٤٥٥.
٦. سورة الأنعام ٨٤.
٧. سورة ص ١٧.
٨. سورة ص ٢٠.
٩. سورة ص ٢٦.

٥ ـ آتـاه الله علمـاً، وفضّـله علـى أكثـر المـؤمنين؛ قـال تعـالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَـا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ}[1].

ولم يقتصر فضل داود عليه السلام على جليل صفاته، بل زاد فضـله بمـا أكرمـه الله تعالى به من إكرامات وعطاءات؛ ومن أشهرها:

١ ـ أن الله تعـالى سخر الجبـال يسبحن معـه، والطيـر كـذلك، فكـان إذا سبّح جاوبتـه الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه، وذلك أن الله وهبه من جمال الصوت مـا لم يعطه أحداً، فكان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء، ويُرجّع بترجيعه، ويسبح بتسبيحه؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَـهُ الحَدِيدَ}[2]، وقـال تعـالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَـالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}[3].

٢ ـ سخر الله سبحانه لـه الحديد؛ فكـان يفتلـه بيده، لا يحتـاج إلـى نـار، ولا مطرقـة، ولـذلك أمـره الله سـبحانه أن يصـنع الـدروع السـابغات، وألا يرقـق المسـمار، ولا يُعظمـه، وإنمـا يُقـدّر السرد تقديراً سوياً؛ قـال تعـالى: {وَأَلَنَّـا لَـهُ الحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[4]، وقـال تعـالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ}[5]؛ ولـذلك كـان كثير الشكر؛ فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، أخبرنـا بـذلك الرسول ﷺ؛ لمّـا وصّـى عبدالله بـن عمـرو بن العـاص رضـي الله عنهمـا؛ فقـال: (فصم يومـاً، وأفطر يومـاً، وذلك صيام داود، وهو أعدل الصيام) رواه البخاري[6].

٣ـ القـوة والشـجاعة والغلبـة، وقـد ظهـرت فـي قصـة قتـل جـالوت؛ وملخصـها: أن العمالقـة مـن أرض غـزة وعسقلان غلبت بنـي إسـرائيل، وقتلـوا مـنهم خلقـاً كثيـراً، فبعث سبحانه لهم نبياً من الأنبياء، لم يُذكر اسمه في القرآن، فطلبوا من نبيهم ملكـاً يقاتلون معه؛ قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}[7]، فأخذ الله تعـالى علـيهم العهد بالقتـال معه، فبعث الله طـالوت ملكـاً، ولكنهم أنكروا؛ لأنهم تعارفوا علـى أن الملوك من سبط يهودا، وهذا من سبط بنيامين؛ {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[8]، فأتت بـه الملائكـة علـى الوصـف المعهود؛ ليكون حجة وآية باهرة، وعاندوا، وتكرر عنـادهم لمّا ابتلاهم الله تعـالى بعد م الشرب من نهر الأردن إلا غرفة باليد، فشرب أكثرهم عناداً، واستقلوا أنفسـهم

١ـ سورة النمل ١٥.
٢ـ سورة سبأ ١٠.
٣ـ سورة الأنبياء ٧٩.
٤ـ سورة سبأ ١٠-١١.
٥ـ سورة الأنبياء ٨٠.
٦ـ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث ٣٤١٨.
٧ـ سورة البقرة ٢٤٦.
٨ـ سورة البقرة ٢٤٨.

عند الملاقاة؛ {قالوا لا طاقة لنا اليَوْمَ بجَالوتَ وَجُنودِهِ قالَ الذِينَ يَظنُونَ أنَهُم مُلاقو اللهِ كم مِّن فِئَةٍ قليلةٍ غلبَتْ فِئَةً كثِيرَةً بإذنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}[١]، فتشجعوا وقاتلوهم، وهزموهم بإذن الله، وأكرم الله داود عليه السلام؛ فقتل قائدهم؛ قال تعالى: {فهَزَمُوهُم بإذنِ اللهِ وَقتلَ دَاوُودُ جَالوتَ وَآتاهُ اللهُ المُلكَ وَالحِكمَة وَعَلمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}[٢]، فعظم أمره عند بني إسرائيل وأحبوه، ومالوا إليه أكثر من طالوت، وجمع الله له بين الملك والنبوة؛ بين خيري الدنيا والآخرة.

وقد وردت قصة رسول الله داود عليه السلام مع سائلين اثنين؛ سألاه وأجابهم، وتيقن بعدها أنه فتن، فاستغفر ربه وأناب، قال تعالى: {وَهَلْ أتاكَ نبَأ الخَصْمِ إذ تسَوَّرُوا المِحْرَابَ إذ دَخلوا عَلى دَاوُودَ ففزِعَ مِنهُمْ قالوا لا تخَفْ خَصْمَانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فاحْكم بَيْننا بالحَقِّ وَلا تشْطِطْ وَاهْدِنا إلى سَوَاء الصِّرَاطِ إنَّ هَذا أخِي لهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نعْجَة وَلِيَ نعْجَة وَاحِدَة فقالَ أكفِلنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ قالَ لقدْ ظلمَكَ بسُؤَالِ نعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ وَإنَّ كثِيراً مِنَ الخُلطاءِ ليَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إلا الذِينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ وَقلِيلٌ مَا هُمْ وَظنَّ دَاوُدُ أنمَا فتنَّاهُ فاسْتغفرَ رَبَّهُ وَخرَّ رَاكِعاً وَأنابَ فغفرْنا لهُ ذلِكَ وَإنَّ لهُ عِندَنا لزُلفى وَحُسْنَ مَآبٍ}[٣].

والراجح في تفسير هذه الآيات أن النبي كان يتعبد في المحراب في يوم عبادةٍ؛ لا يدخل عليه أحد فيه، فأتى الملكان على هيئة إنس، وقفزا من على السور ليلاً؛ ففزع منهم؛ لدخولهم على تلك الهيئة وبغير إذنه، فطمأناه، وسألاه السؤال المذكور في النص، فأجابهم، وتيقن بعد الإجابة أنه فتن، لسماعه من أحد الخصمين والحكم دون أن يسمع الآخر، فاستغفر الله سبحانه، وسجد سجود شكر أو سجود خضوع، فغفر الله له، وقرّبه إليه بعد المغفرة، وآتاه المقام الحسن.

هذا مجمل تفسير قصته، ولكن الناس اختلفوا في سبب استغفاره وسجوده؛ ما المراد بهما؟ قال ابن كثير: (ذكر المفسرون هاهنا قصة، أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُرد علمها إلى الله عزّ وجلّ، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق) انتهى[٤]، والقصة التي أشار إليها ابن كثير - ولم يقبلها- تروي أن داود عليه السلام رأى امرأة أوريا، فطلب من زوجها أن يتنازل له عنها بطلاقها! وبعضهم يدّعي أنه أرسله في مقدمة الجيش ليموت، وهذا الإدعاء الأخير ينافي عصمة النبي عليه السلام، وهو غير ثابت، فيجب تنزيه النبي عليه السلام عنه، وبعض المفسرين رأى أن لا منافاة بين ذلك الطلب وبين العصمة؛ قال الشوكاني: (الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضاً لداود عليه السلام أنه طلب من زوج المرأة الواحدة؛ أن ينزل عنها، ويضمها إلى نسائه، ولا ينافي العصمة الكائنة للأنبياء؛ فقد نبّه الله على ذلك، وعرض له بإرسال ملائكته إليه؛ ليتخاصموا في مثل قصته؛ حتى يستغفر لذنبه، ويتوب منه، فاستغفر وتاب)[٥].

---

١. سورة البقرة ٢٤٩.
٢. سورة البقرة ٢٥١.
٣. سورة ص ٢١-٢٥.
٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار الفيحاء، تقديم عبد القادر الارناؤوط، ج٤، ص٤.
٥. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج٤، ص٤٢٧.

والذي يظهر لأكثر المفسرين أنه عليه السلام لمّا أفتى في النازلة بعد السماع من أحد الخصمين، وهو المتظلم منهما، وقبل أن يسمع من الآخر فقد استعجل الحكم، وهذا لا يجوز عند أحد، ولا في ملة من الملل، ولعل هذا هو الأصوب والأقرب إلى الحق؛ لعدم منافاته العصمة من أي وجه، وهو الذي يظهر من نص القرآن، والله تعالى أعلم.

وأما عمر داود عليه السلام فقد سبق في عمر آدم عليه السلام بيان أنه جعل أربعين سنة من عمره لداود؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: (أول من جحد آدم قالها ثلاث مرات إن الله لما خلقه مسح ظهره، فأخرج ذريته فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، قال: أي ربّ من هذا؟ قال: ابنك داود، قال: كم عمره؟ قال: ستون، قال: أي ربّ زد في عمره، قال: لا إلا أن تزيده أنت من عمرك، فزاده أربعين سنة من عمره، فكتب الله عليه كتاباً، وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه قال: بقي من أجلي أربعون! فقيل له: إنك جعلته لابنك داود، قال: فجحد، قال: فأخرج الله عز وجلّ الكتاب، وأقام عليه البيّنة، فأتمها لداود مائة سنة، وأتمها لآدم عمره ألف سنة)[1]، والحديث وإن كان فيه نكارة[2]، لكنه يُقبل في مثل الأعمار والسنوات والله تعالى أعلم، وبناء على هذا الحديث يكون عمر داود عليه السلام مائة سنة، وانتقلت مملكته إلى رسول الله سليمان عليه السلام.

---

١. رواه الإمام أحمد في المسند، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، مجلد١، ص٢٥١.
٢. قاله ابن كثير، في البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت المجلد الأول، ص٨٩ .

رسول الله سليمان
عليه الصلاة والسلام

رسول الله سليمان، ابن رسول الله داود، عليهما الصلاة والسلام، من نسل رسول الله يعقوب بن إسحاق عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ذكر اسمه في القرآن الكريم مع جملة النبيين، مما يدل على اصطفائه ورسالته، قال تعالى: {وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ}[1]؛ ويدل أيضاً قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ وورث سليمان داود}[2]، أي: ورثه في النبوة والملك، وليس المراد أنه ورثه في المال، لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان من وجه لتخصيصه بالمال دونهم، والأنبياء لا يورثون، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحتاجين.

وردت كلمة سليمان في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، في سبع سور، وأكثر قصته في سورة النمل، ووصف في القرآن الكريم بصفات جليلة عظيمة، من أشهرها:

١. أنه أواب، رجاع تواب، قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[3].

٢. أنه عالم حكيم، كوالده داود عليه السلام، قال تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}[4].

٣. أنه من المحسنين المهديين، كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ}[5].

٤. أنّ له عند الله المنزلة العالية القريبة، قال تعالى: {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}[6].

عاصر سليمان عليه الصلاة والسلام والده داود عليه الصلاة والسلام، وعاش معه يؤازره على شريعة واحدة، حتى قبض داود عليه الصلاة والسلام، وورثه سليمان عليه السلام، وطلب من الله ملكاً يختص به دون سائر البشر، فدعا الله، {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ}[7]، فوهب الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام كل ما يحتاج إليه ذلك الملك الخاص، وأعطاه من كل شيء؛ ومن جملة تلك العطاءات:

---

١. سورة الأنعام ٨٤.
٢. سورة النمل ١٥-١٦.
٣. سورة ص ٣٠.
٤. سورة الأنبياء ٧٩.
٥. سورة الأنعام ٨٤.
٦. سورة ص ٢٥.
٧. سورة ص ٣٥.

أولاً: سخر له الريح تجري بأمره، وذلك أنه أحب الخيل، فعرضت عليه عشية أحد الأيام الصافنات- وهي الخيل التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة- الجياد - وهي المضمرة السراع- قال تعالى: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ}[1]، يعني مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها، فرأى سليمان عليه السلام أن حبه للخيل الذي اشغله عن ذكر الله فتنة، قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}[2]، وبعض المفسرين ذكر هنا آثاراً كثيرة؛ منها ما تلقاه المفسرون عن بني إسرائيل، ومنها ما هو منكر، ومن اقتصر على مجرد التلاوة لآيات القرآن الكريم لم يزد على أن سليمان تفكر في عظمة الله تعالى، فما أحب أن ينشغل بالدنيا عن ذكر ربه، حتى ولو كان بما أحبه حباً جماً، وهو استعراض الخيل بأنواعها وأشكالها، ولذلك طلب من الله أن يعوضه بدل الخيل، قال: رب اغفر لي وهب لي ملكاً، وترك الخيل ابتغاء وجه الله، وعوضه الله بدلها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا تكلفة عليه لها، كحال الخيل، قال تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ}[3]، أي: تسير بسهولة حيث أراد من البلاد، والرخاء: الطيبة.

يقال[4]: كان له بساط مركب من أخشاب، يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال؛ من الإنس والجان، وغير ذلك من الحيوانات والطيور، فإذا أراد سفراً أو مستنزهاً حمل هذه الأمور المذكورة على البساط، وأمر الريح فسارت به، فتسير بأسرع ما يكون فيصل بأقل زمن، يتطلبه الغدو شهراً والرواح شهراً آخر، قال تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}[5] .

ثانياً: الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد أثنى الله عليه وعلى أبيه في قوله سبحانه: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}[6]؛ وملخصها: أن هؤلاء القوم كان لهم بستان، فنفشت فيه غنم قوم آخرين؛ أي: رعته ليلاً، فأكلت شجره بالكلية، فتحاكموا إلى داود عليه السلام، فحكم لأصحاب البستان بقيمته، فلما خرجوا على سليمان قال: بمَ حكم لكم نبي الله؟ قالوا: بكذا وكذا، فقال: أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجاً ودراً، حتى يصلح أصحاب الغنم بستان أولئك، ويردوه إلى ما كان عليه ثم ليتسلموا غنمهم، فبلغ ذلك داود عليه السلام فحكم به، ومثل هذا ما ورد في الصحيح: (أنه كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على

---

١. سورة ص ٣١-٣٣.
٢. سورة ص ٣٤.
٣. سورة ص ٣٦.
٤. قاله ابن كثير في البداية والنهاية مرجع سابق، ج٢ ص ٢٧ بتصرف يسير.
٥. سورة الأنبياء ٨١.
٦. سورة الأنبياء ٧٧-٧٨.

سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: أتوني بسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها فقضى به للصغرى)[1]، وما ساغ لسليمان عليه السلام أن ينقض حكم والده لأنه ظهر له في الأدلة ما لم يظهر لوالده، إذ الولد في يد الكبرى، وقد عجزت الأخرى عن إقامة البنية، فقضى داود عليه السلام للكبرى، وأما سليمان عليه السلام، فظهر له من قرينة شفقة الصغرى وعدمها في الكبرى، ما يدل على صدقها، فحكم له بها، وأمضاه داود عليه السلام، ولذلك مدحهما الله تعالى معاً.

ثالثاً: سخر له النحاس، وكان الجن يعملون له من النحاس المذاب ما يشاء من المحاريب، أي الأماكن الحسنة وصدور المجالس، ويصورون له تماثيل في الجدران، وكان سائغاً في شريعتهم وملتهم، وقصاع كالحياض الكبيرة، قال تعالى: {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[2].

رابعاً: سخر الله تعالى له الجن، يعملون بين يديه، لا يقدر أحدهم على عصيانه ويعملون ما سبق بيانه آنفاً؛ قال تعالى: {وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ}[3]، فمنهم من سخرة في البناء، ومنهم من يأمره بالغوص في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ، فمن عصى منهم قيّده مع آخر من الجن؛ قال تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[4].

وأما ما ورد في سورة البقرة من تعليم الشياطين الناس السحر فهو وأن أراد أنه على ملك سليمان عليه السلام وفي عهده، لكن الآية تتلو حكاية حال ماضية، إذ كانوا يسترقون السمع، ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب، ويلقونها إلى الكهنة، وهم يعلمون الناس، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام، حتى قيل: إن الجن يعلمون الغيب، وإن ملك سليمان تم بهذا العلم، فأنكر الله تعالى عليهم هذا القول؛ إذ الشياطين هي التي كفرت وادعت علم الغيب بالسحر، وعلموه الناس كما علموهم العلم الذي أنزله الله ابتلاءً على ملكين ببابل، هما هاروت وماروت، قال تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ}[5]، ولو كان الجن يعلمون الغيب لعلموا وفاته.

---

١. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤٢٧.
٢. سورة سبأ ١٢-١٣.
٣. سورة سبأ ١٢.
٤. سورة ص ٣٦-٣٩.
٥. سورة البقرة ١٠٢.

خامساً: علمه الله تعالى منطق الدواب، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}[1]؛ فأمرت وحذرت، واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور، وكان في خطابها لأمتها من الرأي السديد، والأمر الحميد ما لا يخفى على أحد، ولذلك فرح عليه السلام، وتبسم وظهر على وجه الاستبشار، ودعا الله سبحانه أن يرشده وأن يلهمه شكر نعمته، قال تعالى:{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[2].

سادساً: علمه الله منطق الطير، وكان للطيور مقدّمون يقدّمون بما يَطلب منهم سليمان عليه السلام، ويحضرون عنده بالنوبة، كما هي عادة الجنود مع الملوك، وكانت عادة الهدهد أنهم إذا أعوزوا الماء في القفار حال الأسفار يجيء الهدهد فينظر لهم؛ هل بهذه البقاع من ماء؟ وفيه من القوة التي أودعها الله فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه حفروا عنه، واستنبطوه، واستعملوه لحاجتهم، ففقده، فتوعده، فغاب غيبة ليست بطويلة ثم قدم، فأخبر أنه اطلع على ما لم يطلع عليه من حال سبأ؛ الذين ملكوا عليهم امرأة، فبعث عليه السلام كتاباً يتضمن دعوتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله، والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه، فوصل الكتاب إليها، فشاورت قومها، فبذلوا لها السمع والطاعة، وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة، فأرادت أن تصالح عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها، مما أغضب سليمان عليه السلام، وكانت نهاية القصة اللقاء، وإحضار لعرشها، فدخلت في دينه، قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}[3].

هذه أشهر أعطيات الله تعالى لسليمان عليه السلام، استجابة لدعائه {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[4]، ولما دنا الأجل قال سليمان عليه السلام: اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فتوكأ على عصاه، والجن تعمل، ما دلهم على موته إلا أن أرسل الله تعالى الأرضة فأكلت عصاه قال تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ}[5]، ويذكر أنه عاش ثنتين وخمسين سنة، وكان ملكه أربعين سنة، ودفن ببيت المقدس.

---

١. سورة النمل ١٨.
٢. سورة النمل ١٩.
٣. سورة النمل ٢٠-٢٢.
٤. سورة ص ٣٥.
٥. سورة سبأ ١٤.

رسول الله يونس
عليه الصلاة والسلام

رسول الله يونس بن متى عليه السلام، من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ورد في القرآن بهذا الاسم أربع مرات في أربع سور؛ هي النساء والأنعام ويونس والصافات، وسميت سورة في القرآن باسمه، وأكثر قصته في سورة الصافات، ووصف بأنه ذو النون، والنون هو الحوت العظيم، سمي يونس عليه السلام به؛ لأن الحوت كان قد التقمه، كما سيأتي في تمام قصته؛ قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا}[1]، وفي سورة القلم صُرح بأنه صاحب الحوت.

ودليل رسالته قوله تعالى في سورة النساء: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[2]، وذكره الله تعالى مع جملة النبيين الذين ذكرهم في سورة الأنعام، ووصفه الله تعالى بصفات جليلة؛ منها:

١ ـ أنه فضّله الله مع النبيين على العالمين، وآتاهم الحكم والنبوة، وأمر النبي محمداً ﷺ أن يقتدي بهم؛ قال تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}[3].

٢ ـ أنه من المرسلين؛ قال تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}[4].

٣ ـ أنه من المسبحين؛ قال تعالى: {فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[5].

٤ ـ أنه من الصالحين؛ قال الله تعالى: {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[6].

ولأجل أوصافه العظيمة ومقامه عند الله سبحانه نهى النبي ﷺ أن يفضل واحد من الناس نفسه على يونس عليه السلام؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى)[7]، وهو بالنسبة للنبي ﷺ من باب التواضع.

١ـ سورة الأنبياء ٨٧.
٢ـ سورة النساء ١٦٣.
٣ـ سورة الأنعام ٨٦-٩٠.
٤ـ سورة الصافات ١٣٩.
٥ـ سورة الصافات ١٤٣-١٤٤.
٦ـ سورة القلم ٥٠.
٧ـ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث ٣٤١٣.

أرسل الله تعالى يونس عليه السلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل؛ قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}[1]، واختلف المفسرون في إرساله إلى المائة ألف؛ هل كان قبل قصته مع الحوت أم بعدها؟ أم هما أمتان، وظاهر السياق في سورة الصافات أن إرساله إليهم كان بعد قصته مع الحوت، وهذا لا ينافي أن يكون إرساله قبل تلك القصة المشهورة، ونظير ذلك في سورة البقرة؛ إذ ورد سبب الأمر بذبح البقرة بعد قصة ذبحها[2]، فقد يكون إرسال يونس عليه السلام إلى أهل نينوى، وأن عددهم مائة ألف، فحصل ما سيأتي في تمام قصته عليه السلام، ولم يُذكر قوم ليونس عليه السلام إلا هؤلاء.

لقد دعاهم إلى عبادة الله تعالى، فكذبوه وتمردوا وأصروا على كفرهم وعنادهم، فخرج عنهم مغاضباً لهم، ووعدهم حلول العذاب بعد حين؛ قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ}[3]؛ أي: ظناً منه أن الله لن يُضيق عليه، ولكنه رسول، والرسل عليهم السلام لا يخرجون من الأرض التي أرسلوا إلى أهلها، إلا بأمر من الله تعالى، وهنا يتشعب الحديث إلى شعبتين؛ عن يونس عليه السلام، وعن قومه؛ أما قومه فقد تابوا فتاب الله عليهم؛ إذ لمّا خرج نبيهم من بين أظهرهم تحققوا نزول العذاب بهم، فندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، وتابوا إلى ربهم وآمنوا، وخضعوا، وتضرعوا، وفرّقوا بين كل بهيمة وولدها؛ لتصرخ البهيمة وأولادها، فصرخوا جميعاً؛ الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب، الذي كان قد اتصل بهم؛ قال تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}[4].

وأما رسول الله يونس عليه السلام فخرج مغاضباً بسبب قومه، وركب سفينة في البحر مع آخرين- ولذلك وُصف الفلك بأنه المشحون؛ أي: المملوء- فلجّت بهم، واضطربت، وماجت بهم، وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية، فوقعت عليه أيضاً، فشمّر ليخلع ثيابه، ويلقي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة ثالثة، فوقعت عليه أيضاً؛ وذلك لما يريده الله به من الأمر العظيم؛ قال تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ}[5]؛ أي: كان من المغلوبين بالقرعة.

ولمّا وقعت عليه القرعة ألقى بنفسه في البحر، وبعث الله عزّ وجلّ حوتاً عظيماً فالتقمه، ولم يأكل له لحماً، ولم يهشم له عظماً، ولما استقر في جوف الحوت حسب

---

١. سورة الصافات ١٤٧.
٢. إقرأ الآيات ٦٧-٧٣ من سورة البقرة.
٣. سورة الأنبياء ٨٧.
٤. سورة يونس ٩٨-٩٩.
٥. سورة الصافات ١٣٩-١٤١، و أبق: هرب، والمشحون: المملوء، وساهم: اقترع.

أنه قد مات، فحرّك جوارحه فتحركت، فإذا هو حيٌّ، فوجد فرصة ليعبد الله تعالى في مكانٍ ما عُبد في مثله قط؛ فنادى مستغيثاً مسبحاً؛ {أن لا إلهَ إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فاسْتَجَبْنا لهُ وَنجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وَكذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ}[1]؛ لقد دعا الله تعالى في الظلمات؛ ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، ولو لم يكن من المسبحين المطيعين المصلين الذاكرين لما استجاب الله تعالى دعاءه؛ قال تعالى:{فالتقمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فلوْلا أنَّهُ كانَ مِنْ المُسَبِّحِينَ للبث فِي بَطنِهِ إلى يَوْم يُبْعَثُونَ}[2]، وفي سورة القلم: {فاصْبرْ لِحُكْم رَبِّكَ وَلا تكُن كصَاحِبِ الحُوتِ إذ نَادَى وَهُوَ مَكْظومٌ لوْلا أن تدَارَكهُ نِعْمَة مِّن رَّبِّهِ لنُبذ بالعَرَاء وَهُوَ مَذمُومٌ فاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فجَعَلهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[3].

لقد امتلأ غيظاً على قومه، فأطفأ غيظه بذكر الله، فنجّاه من الكرب العظيم، ونبذه الحوت بأمر الله تعالى إلى الساحل الذي لا شجر فيه؛ قال تعالى: {فنبَذناهُ بالعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ}[4]؛ أي: مريض؛ ضعيف البدن؛ كحال المولود عند ولادته، وكهيئة الفرخ؛ ليس عليه ريش، ومن رحمة الله تعالى به ونعمته عليه وإحسانه إليه- وهي سنّة الله تعالى في كل من دعاه- أن هيأ له مقراً آمناً، فأنبت الله عليه شجرة القرع؛ ذات الفوائد الجمّة؛ قال الله تعالى: {فنبَذناهُ بالعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ وَأنبَتنا عَليْهِ شَجَرَة مِّن يَقطِينٍ}[5].

قال بعض العلماء[6]: (في إنبات القرع عليه حِكم جمّة؛ منها: أن ورقه في غاية النعومة، وكثيرٌ، وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره؛ نيّاً ومطبوخاً وبقشره وببزره أيضاً، وفيه نفع كثير، وتقوية للدماغ) انتهى.

إن هذا من أعظم التكريم وأجله، وهو ثمرة معرفة الله في الرخاء؛ فمن تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفه في الشدّة.

ليس في القرآن ذكرٌ لعمر سيدنا يونس عليه السلام، ولا لاسم قومه، ولا لمكانهم، وأما ما ذُكر عنه فمأخوذ أكثره من كتب التاريخ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

---

١. سورة الأنبياء ٨٧-٨٨.
٢. سورة الصافات ١٤٢-١٤٤، ومليم: آتٍ بما يلام عليه، وهو مكتسب اللوم.
٣. سورة القلم ٤٨-٥٠.
٤. سورة الصافات ١٤٥.
٥. سورة الصافات ١٤٥-١٤٦.
٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد١، ص٢٣٥.

رسول الله زكريا
عليه الصلاة والسلام

رسول الله زكريا بن برخيا، لم يذكر المؤرخون له نسباً متصلاً موثوقاً به، ويذكرون أنه من نسل رسول الله داود بن سليمان عليهما الصلاة والسلام.

ذكر رسول الله زكريا عليه السلام في القرآن بهذا الاسم سبع مرات في أربع سور، هي آل عمران والأنعام ومريم والأنبياء، وأكثر قصته في آل عمران ومريم، وكفالته لمريم ثابتة في القرآن الكريم، كما سيأتي بإذن الله تعالى.

وُصف رسول الله زكريا عليه السلام في القرآن بصفات جليلة، هي:

أولاً: أنه ممن فضلهم الله على العالمين، وهداهم إلى صراط مستقيم؛ قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[1].

ثانياً: أنه عبد الله، وهي صفة يفتخر بها الأنبياء المقربون، قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا}[2].

ثالثاً: أنه من الصالحين المهديين، قال تعالى: {وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ}[3].

رابعاً: أنه من المسارعين في الخيرات الخاشعين القانتين، قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[4].

أرسل الله سبحانه وتعالى زكريا عليه السلام إلى بني إسرائيل في بيت المقدس، ويُقال: إلى أهل دمشق أرسل أولاً، ثم دخل بيت المقدس، والظاهر أنه أرسل إلى أهل بيت المقدس، فقصته المذكورة في القرآن كانت فيه، والله تعالى أعلم.

لم يذكر في القرآن شيء عن حياة رسول الله زكريا عليه الصلاة والسلام ورسالته، مما يدل دلالة واضحة أنه ليس له رسالة خاصة به، وإنما كانت رسالته رسالة الأنبياء السابقين قبله.

وردت في القرآن الكريم قصة زكريا عليه الصلاة والسلام حين طلب الولد ومُلخصها: أن زكريا عليه السلام كفل مريم أم رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام، والتي كانت أمها قد نذرت إن رزقت مولوداً أن تجعله حبيساً في خدمة المسجد الأقصى، وولدت مريم، ودفعتها إلى العُبَّاد تنفيذاً لنذرها، وتنافسوا في كفالتها، وحصل الخصام بينهم أيهم يكفل مريم، ثم لجأوا إلى القرعة، فكانت من حظ زكريا عليه الصلاة والسلام، وكان هو زوج خالتها، ففرح أن تكون في كفالته،

---

١. سورة الأنعام ٨٥-٨٧.
٢. سورة مريم ٢.
٣. سورة الأنعام ٨٤-٨٥.
٤. سورة الأنبياء ٩٠.

وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير أوانها، وهذه كرامة من كرامات عديدة، وهبة من الهبات الجزيلة، وهبها وأكرم بها الله مريم بنت عمران، أم عيسى عليه السلام، وهي التي كانت سبباً في تحريك حب الذرية في قلب زكريا عليه الصلاة والسلام، فإن القادر على رزق الشيء في غير أوانه قادر أن يرزقه ولداً، وإن كان قد طعن في السن؛ قال تعالى: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}[١]، ولعل هذا السبب ليس وحيداً في إثارة الحب للذرية في قلب زكريا عليه الصلاة والسلام، ففي سورة مريم ذكر سببٌ آخر قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}[٢]، فكأنه عليه الصلاة والسلام خاف من تصرف الموالي -وهم العصبة- في حق بني إسرائيل بما لا يوافق طاعة الله، فسأل الله وجود ولد من صلبه يرثه في النبوة والدعوة إلى الله تعالى، والحاصل أنه تمنى الولد، قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}[٣]، والنداء الخفي يعلمه الله الذي يعلم القلب النقي والصوت الخفي، وليس الميراث في الآيات ميراث مال، لأن الدنيا عند الأنبياء أحقر من أن يكترثوا لها، أو يلتفتوا إليها، أو يهمهم أمرها، حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها، وفي حق سيدنا زكريا عليه السلام آكد، فانه كان نجاراً يأكل من كسب يده، والغالب أنه لم يجهد نفسه في ذلك، فالمراد ميراث النبوة، وذلك أنه خشي أن يتولى أمر الرياسة الدينية في بني إسرائيل موالي من الجهلة والفساق والمتلاعبين بالدين.

وأجاب الله دعاء زكريا عليه السلام، قال تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا[٤] وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}[٥]، وفي سورة مريم قال تعالى: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا}[٦].

وبدأ يستعلم على وجه التعجب {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا}[٧]، وفي سورة آل عمران ذكر التعجب ودفعه بالجواب {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا

---

١. سورة آل عمران ٣٥-٣٨.
٢. سورة مريم ٢-٦.
٣. سورة الأنبياء ٨٩.
٤. الحصور: هو الذي لا يأتي النساء.
٥. سورة آل عمران ٣٩.
٦. سورة مريم ٧.
٧. سورة مريم ٨ ، وعتيا: حالة لا سبيل إلى إصلاحها.

يَشَاء}[١]، وفي سورة مريم أضاف الدليل ليكون أبلغ في الإقناع وإزالة التعجب واطمئنان القلب {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا}[٢].

حينئذٍ سأل زكريا عليه السلام ربه أن يجعل له علامة تدل على تحقق المسؤول، من أجل شكر تلك النعمة؛ {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ}[٣]؛ أي: يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا بالإشارة والرمز، رغم أنك سوي الخلق، صحيح المزاج، معتدل البُنية، ويدل على ذلك قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}[٤] ؛ أي: حال كونك سليماً، لا خرس بك ولا علة، فتحققت الآية {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[٥]؛ والوحي هنا: الإشارة، فكان رسول الله زكريا عليه الصلاة والسلام يقرأ ويسبح لكنه لا يستطيع كلام أحد، وهي آية وجود الحمل، ثم أجاب الله دعاءه ووهبه ولداً مباركاً، هو رسول الله يحيى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[٦] ؛ أي: يدعون ربهم رجاءً في الثواب وخوفاً من العقاب، ومعنى إصلاح الزوجة أنها كانت لا تلد، فأصبحت بأمر الله تعالى وكرمه حاملاً، ثم ولدت مكرّماً مباركاً.

هذا ما ذكر في القرآن من قصة رسول الله زكريا عليه الصلاة والسلام، واختلفت الرواية في وفاته، فقيل: قتل قتلاً، والمشهور أنه هرب من قومه، فدخل شجرة، فجاء بنو إسرائيل، فدلهم الشيطان على مكانه، فنشر بالمنشار، والله تعالى أعلم.

---

١. سورة آل عمران ٤٠.
٢. سورة مريم ٩، وهين: سهل يسير.
٣. سورة آل عمران ٤١.
٤. سورة مريم ١٠.
٥. سورة مريم ١١.
٦. سورة الأنبياء ٩٠.

رسول الله يحيى
عليه الصلاة والسلام

رسول الله يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، يتصل نسبه بوالده اتصالاً ثابتاً في القرآن الكريم، إذ اقترن اسمه باسم والده فيه، كما اقترنت قصته بقصته أيضاً.

ذكر رسول الله يحيى عليه السلام في القرآن الكريم بهذا الاسم خمس مرات في أربع سور، وهي: آل عمران والأنعام ومريم والأنبياء، وتميّز يحيى عليه الصلاة والسلام بأن الله سبحانه وتعالى سمّاه بهذا الاسم، قال تعالى: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا}[1]، فلم يُسمّ بهذا الاسم قبله غيره.

وُصف رسول الله يحيى عليه السلام بصفات جليلة عظيمة، منها:

أولاً: أنه مصدّق بكلمة من الله؛ أي: مصدق بكلمة التوحيد، أو بما هو أعم؛ كتاب الله.

ثانياً: أنه سيد، والسيد هو المتولي لأمر الجماعة، لعظيم صفاته وكونه مهذب النفس فاضلاً.

ثالثاً: أنه حصور، لا يأتي النساء مع قدرته على ذلك؛ لعفته، ويقال غير ذلك؛ لقول الله تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}[2]، والذرية تتطلب زواجاً، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، والظاهر أن الحصور هو العفيف وإن تزوج.

ويجمع الصفات الثلاث المذكورة آنفاً قوله تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلَآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}[3].

رابعاً: أنه من الصالحين، كحال الذين اجتباهم الله تعالى، وهداهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد ذكر يحيى عليه السلام في جملتهم؛ قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[4].

خامساً: أن الله آتاه الحكم صبياً، وعلمه الكتاب؛ أي التوراة، قال تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}[5]، والمراد بالحكم الفهم في الدين، فقد ذكر أن الصبيان قالوا ليحيى عليه السلام: اذهب معنا نلعب، فقال: ما للعب خلقنا.

سادساً: التحنن على الناس عموماً، وعلى والديه خصوصاً، والطهارة والنقاء والتقوى، قال تعالى: {وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا}[1]، فهو الذي يتحنن على الناس ويحبهم، ولا سيما على أبويه، فقد أحبهما، وأشفق عليهما.

---

١. سورة مريم ٧.
٢. سورة آل عمران ٣٨.
٣. سورة آل عمران ٣٩.
٤. سورة الأنعام ٨٥-٨٧.
٥. سورة مريم ١٢.

سابعاً: أنه بارٌّ بوالديه، سهل غير جبار ولا عاصٍ، قال تعالى: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا}[2].
ثامناً: أنه مرضيٌّ، رضي الله عنه، كما رضي العباد عنه، وذلك أن الله سبحانه استجاب دعاء زكريا عليه السلام، فوهبه يحيى على الصفة التي طلبها إذ قال في سؤاله: {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}[3].
تاسعاً: أن السلام عليه في كل أحواله؛ قال تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا}[4]، قال ابن كثير[5]: (هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان؛ فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى آخر، فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه، ويصير إلى الآخر، ولا يدري ما بين يديه، ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الأحشاء، وفارق لينها وضمها، وينتقل إلى هذه الدار، ليكابد همومها وغمها، وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار، وصار بعد الدور والقصور إلى جوار الأموات سكان القبور، وانتظر هناك النفخة في الصور؛ ليوم البعث والنشور، فمن مسرور ومحبور، ومن محزون ومثبور، وما بين جبير وكسير، وفريق في الجنة، وفريق في السعير) انتهى، فلما كانت هذه المواطن أشق ما تكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها.
ليس لرسول الله يحيى عليه الصلاة والسلام قصة مع قومه في القرآن، وإنما هي قصة ولادته؛ إذ لما تحرك في قلب والده رسول الله زكريا عليه السلام حبُ الذرية تمنى أن يهبه الله ولداً ذكراً؛ يرث الشريعة عنه وعن العلماء الصالحين من آل يعقوب، فقال: {فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}[6]؛ فتحققت البشارة الإلهية لرسول الله زكريا عليه الصلاة والسلام، ونشأ يحيى عليه الصلاة والسلام كما بشّر به الله سبحانه وتعالى؛ نشأة صلاح وتقوى وعلم، وقد آتاه الله الحكم صبياً، وأقبل على معرفة الشريعة وأصولها وأحكامها، حتى صار عالماً متبحراً، ومرجعاً يرجع إليه في الفتاوى الدينية، وذلك قوله سبحانه وتعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}[7].
ولما كان يحيى عليه الصلاة والسلام ابن خالة رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام ذكره علماء النصارى، وسمّوه يوحنا، ويلقبونه المعمدان، وقد نصّ رسول الله محمد ﷺ على أنهما ابنا خالةٍ، ففي حديث الإسراء: (فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ) رواه البخاري[8].

---

١. سورة مريم ١٣.
٢. سورة مريم ١٤.
٣. سورة مريم ٥-٦.
٤. سورة مريم ١٥.
٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ج٢ ص٥٠.
٦. سورة مريم ٥-٦.
٧. سورة مريم ١٢.
٨. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤٣٠ .

لقد كان يحيى عليه الصلاة والسلام ثمرة دعاء مقبول من نبي صالح، فجعله الله قرّة عين والده، وهو مشهور بالزهد والعزوف عن لذائذ الدنيا، وكثرة البكاء، حتى إذا سأله والده يوماً عن سبب بكائه قال: يا أبت ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين، فبكيا جميعاً.

لم يثبت لرسول الله يحيى عليه الصلاة والسلام رسالة خاصة به، وإنما كان كتابه التوراة، كشأن والده زكريا عليه الصلاة والسلام، وليس في القرآن ذكر لموطن رسالته، والظاهر أنه كان رسولاً إلى أهل بيت المقدس، ورث ذلك عن والده؛ لأن زكريا عليه الصلاة والسلام قال في دعائه: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ}[1].

اختلف في وفاته، كيفية ومكاناً، أما المكان فإن لم يكن بيت المقدس فهو ما حوله، فله مقام في دمشق، ولعله رحل إليها بسبب ما فعله بنو إسرائيل بوالده زكريا عليه الصلاة والسلام.

وأما كيفية وفاته ففيها أقوال، أشهرها: إن بعض ملوك ذلك الزمان كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، أو من لا يحل له أن يتزوجها، وكان بينها وبين الملك ما يُحب منها، فأبى رسول الله يحيى، فاستوهبت من الملك دم يحيى، فوهبه لها، فبعث إليه من قتله، وجاء برأسه، وفار دمه، وظلّ دمه يفور حتى قتل عليه من بني إسرائيل الكثير، وانتقم الله منهم، ولعل هذه القصة مذكورة في أكثر كتب التاريخ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

١. سورة مريم ٦.

رسول الله عيسى
عليه الصلاة والسلام

رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام، ينسب إلى أمه كما نسبه الله؛ لأنه لا والد له، وولادته من غير أب معجزة؛ قال تعالى :{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[١].

سمّاه الله سبحانه المسيح، وسمّاه عيسى، ونسبَه إلى أمه مريم، وذلك لما بشرتها الملائكة به؛ قال تعالى: {إِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ}[٢]، وقد ذكر في القرآن باسمه (عيسى) خمساً وعشرين مرة في إحدى عشرة سورة، وسمي المسيح لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، وقد ذكر في القرآن باسم (المسيح) إحدى عشرة مرة في أربع سور، وغالباً ما يقترن اسمه باسم أمه مريم.

وإذا ورد بوصفه أنه ابن مريم انصرف إلى رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}[٣].

وهو رسول الله إلى بني إسرائيل في بيت المقدس، وهو آخر الأنبياء إليهم، أرسله الله سبحانه وتعالى بعد موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ}[٤].

وكتابه الإنجيل؛ قال تعالى: {وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجيل بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}[٥].

وأدلة رسالته عليه الصلاة والسلام كثيرة منها:

١ـ قول الله تعالى:{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ}[٦]، والآية نص في الوحي إليه.

٢ـ قول الله تعالى: {قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى}[٧]؛ إذ ذكره الله تعالى في جملة النبيين.

٣ـ أنه من الذين أخذ الله منهم ميثاقاً غليظاً؛ قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظًا}[٨].

١ـ آل عمران ٥٩.
٢ـ آل عمران ٤٥.
٣ـ سورة الزخرف ٥٧.
٤ـ سورة المائدة ٤٦.
٥ـ سورة المائدة ٤٦-٤٧.
٦ـ سورة النساء ١٦٣.
٧ـ سورة آل عمران ٨٤.
٨ـ سورة الأحزاب ٧.

وُصف عيسى عليه السلام في القرآن بالأوصاف الجليلة الشريفة، ومن أشهرها أنه:

أولاً: عبد الله، والعبودية رتبة شريفة عالية الشرف؛ قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا}[1].

ثانياً: رسول الله؛ قال تعالى:{يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ}[2].

ثالثاً: وجيه مُقرب؛ أي: ذو جاه وقدر، ومنزلة مباركة، وخلق بكلمة من الله، قال تعالى: {إِذْ قَالَتْ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمِنْ المُقَرَّبِينَ}[3].

رابعاً: آية ظاهرة بيّنة، خلق من غير أب، معجزة له، وكرامة لأمه؛ قال تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[4]؛ أي: إلى مكان مرتفع من الأرض وأعلاه مستوٍ، يُقرّ عليه، وارتفاعه متسع، ومع علوّه فيه عيون الماء المعين الجاري السارح على وجه الأرض.

خامساً: مصدق لما بين يديه من التوراة؛ قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ}[5].

سادساً: آتاه الله البينات، وأيده بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام؛ قال تعالى:{وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ}[6].

سابعاً: أنه من الصالحين الذين اجتباهم الله سبحانه وتعالى، وهداهم إلى صراط مستقيم؛ قال تعالى:{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَاليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[7].

ثامناً: يكلم الناس في المهد آية، ويكلمهم كهلاً بالوحي والرسالة؛ قال الله تعالى: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنْ الصَّالِحِينَ}[8].

تاسعاً: طهّره الله ورفعه؛ قال تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[9].

هذه أشهر أوصاف رسول الله عيسى بن مريم في القرآن الكريم، وهي بحق تدل على علوّ شأنه ومقداره كدأب سائر الأنبياء المرسلين عليهم الصلاة والتسليم.

---

١. سورة النساء ١٧٢.
٢. سورة النساء ١٧١.
٣. سورة آل عمران ٤٥.
٤. سورة آل عمران ٥٠.
٥. سورة المائدة ٤٦.
٦. سورة البقرة ٨٧.
٧. سورة الأنعام ٨٥-٨٨.
٨. سورة آل عمران ٤٦.
٩. سورة آل عمران ٥٥.

قصة مريم: هي مريم ابنة عمران، وأمها تسمى حنة، وأبوها من ذرية رسول الله سليمان عليه السلام، كان صاحب صلاة في بني إسرائيل في زمانه، وكانت زوجته (أم مريم) من العابدات، وكان رسول الله زكريا عليه الصلاة والسلام زوج أختها أشياع، وقد ذكرت قصة هذا البيت الطاهر آل عمران في القرآن الكريم، وسميت سورة في القرآن باسم آل عمران، قال تعالى:{إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1].

ذكرت مريم في القرآن أربعاً وثلاثين مرة في ثلاث عشرة سورة، وأكثر قصتها في سورة آل عمران، وفي سورة مريم التي سميت باسمها.

كانت أم مريم عاقراً، فاشتهت الولد، فنذرت إن رزقت مولوداً أن تجعله حبيساً في خدمة المسجد الأقصى؛ قال تعالى: {إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[2]، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءها وحقق لها رغبتها، وقد قص الله سبحانه وتعالى تمام قصة حياة مريم في سورة آل عمران، إذ ولدت مريم وكانت تتمنى أن يكون المولود ذكراً{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}[3]؛ أي: ليست الأنثى بأقدر على خدمة المسجد من الذكر، فسمّتها مريم، وأعاذتها بالله من الشياطين، قالت: {وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[4]، واستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءها في هذا كما استجاب نذرها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا) متفق عليه[5] ، فوضعتها على تلك الصفة، ولفتها في خروقها، ثم خرجت بها إلى المسجد، فسلمتها إلى العُبّاد مقيمين به، وكانت ابنة إمامهم، وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها؛ أيهم يكفلها، وكان رسول الله زكريا عليه السلام نبيهم في ذلك الزمان، وقد أراد أن تكون كفالتها من نصيبه دونهم؛ من أجل أنها أخت زوجته، فاقترعوا فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم، قال تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا}[6]، وقال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[7]، ذلك أن كلاً منهم ألقى قلمه معروفاً به، وأمروا غلاماً فأخرج واحداً منها، وظهر قلم زكريا عليه السلام، ثم اقترعوا ثانية وثالثة وبأساليب مختلفة، فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها، واتخذ لها مكاناً شريفاً، لا يدخله سواه، وأنبتها نباتاً حسناً، ورباها تربية حسنة في عبادة وطاعة لربها، حتى ترعرعت، وكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت، وصار يضرب المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة، والصفات الشريفة، حتى

---

١. سورة آل عمران ٣٣-٣٤.
٢. سورة آل عمران ٣٥.
٣. سورة آل عمران ٣٦.
٤. سورة آل عمران ٣٦.
٥. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣١٧٧، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث ٤٣٦٣.
٦. سورة آل عمران ٣٧.
٧. سورة آل عمران ٤٤.

انه كان نبي الله زكريا عليه السلام، كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً، في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف؛ قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا}[1]، فيسألها: {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[2].

وُصفت مريم بصفات كثيرة في القرآن، من أشهرها:

أولاً: أن الله اختارها واجتباها، وطهرها من الأخلاق الرذيلة، ومنحها الصفات الجميلة، وفضّلها على نساء زمانها؛ قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}[3].

ثانياً: برأها من الإفك الذي رماها به بنو إسرائيل؛ قال تعالى: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا}[4].

ثالثاً: انعم الله عليها وعلى ولدها؛ قال تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ}[5].

رابعاً: جعلها وابنها آية؛ قال تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً}[6].

خامساً: أحصنت فرجها، وصدّقت بكلمات ربها وكانت قانتة؛ قال تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}[7].

سادساً: أن الله تقبّلها، وأنبتها نباتاً حسناً، وجعلها في كفالة رسول الله زكريا عليه السلام، وفي خدمة المسجد، قال تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}[8].

سابعاً: أنها صدّيقة؛ أي: كثيرة الصدق، أو لا تكذب قط، أو صدّقت بقولها واعتقادها؛ قال تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ}[9].

البشارة به وولادته: بُشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، كما بُشرت بأن يكون ولدها نبياً شريفاً، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت؛ لتكون أهلاً لهذه الكرامة، ولتقوم بشكر تلك النعمة؛ قال الله تعالى:{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ

---

١. سورة آل عمران ٣٧.
٢. سورة آل عمران ٣٧.
٣. سورة آل عمران ٤١-٤٢.
٤. سورة النساء ١٥٦.
٥. سورة المائدة ١١٠.
٦. سورة المؤمنون ٥.
٧. سورة التحريم ١٢.
٨. سورة آل عمران ٣٧.
٩. سورة المائدة ٧٥.

الرَّاكِعِينَ}[1] ، وبشرتها الملائكة بأن الله سيهب لها ولداً زكياً، يكون نبياً كريماً طاهراً مُكرماً مؤيداً بالمعجزات، فتعجب من وجود ولد من غير والد؛ لأنها لا زوج لها، ولا هي ممن تتزوج، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، فاستكانت لذلك، وأنابت وسلمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه؛ لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال، من غير تدبر ولا تعقل[2]؛ قال تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[3] .

ولم تكن مريم تخرج من المسجد إلا لحاجة ضرورية، فبينما هي يوماً خرجت لبعض شؤونها، وانفردت شرقي المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، متمثلاً هيئة رجل، فاستعاذت بالله منه، وقالت: {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا} ؛ تعني: إن كنت ممن يُتقى منه؛ لأنها علمت أن التقي ذو نهية؛ لا يتجرأ على فعل الحرام؛ قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا}[4] ، فخاطبها الملك؛ {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا}[5] ، فحملت مريم، وضاقت بحملها ذرعاً، وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها، وهم يعلمون نزاهتها وعبادتها، وليس لها زوج، فكيف يجتمع ذلك كله مع حملها ولداً؟ لكنه أمر الله سبحانه وتعالى.

ولما كان حمل مريم بعيسى خارجاً عن المألوف اقترن بحمل أم يحيى بن زكريا عليهما السلام بيحيى، وقد بلغا من الكبر عتياً، وزوجته عاقر، فهما دليلان على عظيم قدرة الباري سبحانه.

لقد حملت به الحمل الطبيعي تسعة أشهر كما تحمل النساء، وهو الوضع الطبيعي للحمل، وقيل: ما هو إلا أن حملت به فوضعته، واستأنس أصحاب هذا القول بقوله تعالى: {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ}[6]؛ أي: فألجأها وأضطرها إلى جذع النخلة ببيت لحم قرب بيت المقدس، وبدأت الفتنة لمريم، وتحققت بها البشرى، وتمنت الموت لما علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها، بل يكذبونها حين تأتهم بغلام على يديها، وليس ليها زوج، وهي عندهم من العابدات الناسكات، المجاورات في المسجد، المنقطعات إليه، المعتكفات فيه وفي بيت النبوة، فحملت

١. سورة آل عمران ٤٢-٤٣.
٢. ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج٢، ص٦٤.
٣. سورة آل عمران ٤٥-٤٧.
٤. سورة مريم ١٦-١٨.
٥. سورة مريم ١٩-٢١.
٦. سورة مريم ٢٢-٢٣.

بذلك من الهمّ ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال، أو لم تخلق بالكلية: {قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا}[1]، فواساها ولدها لما وضعته، وقيل: واساها جبريل عليه السلام؛ {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا[2] وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}[3].

إن وجود الثمر في الشتاء وهو وقت ولادة عيسى عليه السلام، خارق للعادة، أكرم الله به أم عيسى عليه السلام، قيل: ليس شيء أجود للنفساء من التمر والرطب، واستدلوا بهذه الآية الشريفة.

ومن تمام كلام الذي ناداها من تحتها أن قال: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا}[4]، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام، فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل، فوضعته، وأتت تحمل معها ولدها، فرأوها فظن بعضهم أن هذه فرية، أي: فعلة منكرة عظيمة، وشبهوها بعابد من عُباد زمانهم كانت تساميه في العبادة؛ اسمه هارون، وقيل: شبهوها بهارون النبي عليه السلام، فإنه كان كثير العبادة، وليس كما ظن بعضهم أنها أخته نسباً، فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده أدنى شيء من العلم، وقد يكون أخاها من النسب؛ سمّوه باسم النبي هارون عليه السلام؛ لأنهم كانوا يسمّون أبناءهم بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم، وقد سبق بيان ذلك في قصة رسول الله هارون عليه السلام، ولهذا قالوا: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}[5]؛ أي: لست من بيت هذه شيمتهم، ولا سجيتهم، لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، ولما ضاق الحال، وانحصر المجال، وامتنع المقال عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}[6]، وهم بذلك ينكرون قدرته على الجواب، وهو لا يعقل الخطاب، بل لا يقدر على الكلام فضلاً عن الجواب! فانطقه الله سبحانه وتعالى في الحال، واعترف لله بالعبودية، ونزّه جناب الله سبحانه عن الولد، وبرأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به، فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا، فهو عبد الله أمره الله كما أمر سائر العبيد من القيام بحق العزيز الحميد، من الصلاة التي تطهر النفوس، والزكاة التي تطهر الأموال، وسائر الطاعات، وأنواع القربات، وعاد يذكر برّه بوالدته، وقد تأكد حقها عليه: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}[7]، سبحان الذي أنطقه ليحقق البشارة لأمه: {إِذْ قَالَتِ

---

١. سورة مريم ٢٣.

٢ . أي: نهراً يسري، وقيل: بل ذلك من السرو، أي: الرفعة، يقال: رجل سَروٌ، قال: وأشار بذلك إلى عيسى عليه السلام وما خصه به من سروه، هكذا فسر الراغب الأصفهاني. المفردات، ص ٢٣١.

٣. سورة مريم ٢٤-٢٥.

٤. سورة مريم ٢٦.

٥. سورة مريم ٢٨.

٦. سورة مريم ٢٩.

٧. سورة مريم ٣٠-٣٣.

المَلآئِكة يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ وَيُكلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ}[١].

تنزيه الله تعالى عن الولد: زعم بعض الناس أن لله ولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فأدلة وحدانيته سبحانه وتعالى كثيرة لا تحصى ولا تعد، وأما منكرو وحدانيته فحُججهم واهية، وفيما يخص ولدية عيسى فقد نقضها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالأدلة الكثيرة على أنه سبحانه لا والد له ولا ولد؛ ومن الأدلة:

أولاً: قصة ولادته، بعد أن خلقه الله تعالى في الرحم، وصوّره كما صوّر المخلوقات، وأنه خلق بأمر الله تعالى، قال الله تعالى بعد ذكر ولادة عيسى عليه السلام: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[٢].

ثانياً: أنه نص على عبوديته لله؛ فقال: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا}[٣]، وقال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ المَلآئِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا}[٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ مَا قُلتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[٥]، وفي السؤال مع علم الله بالجواب من التقريع للكاذبين ما لا يخفى.

ثالثاً: أنه وأمه كانا يأكلان الطعام الذي يحتاجانه ويريدانه وهذا مناف للألوهية، قال تعالى: {مَّا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[٦]، فمن كان بهذه المثابة كيف يكون إلهاً؟ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

رابعاً: أن الله قدير على رسول الله عيسى عليه السلام كقدرته على المخلوقات كافة، قال تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧]، فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومالكه.

خامساً: أن اتخاذ الولد ينافي الألوهية، قال تعالى: {مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[٨].

---

١. سورة آل عمران ٤٥-٤٦.
٢. سورة مريم ٣٤-٣٥.
٣. سورة مريم ٣٠.
٤. سورة النساء ١٧٢.
٥. سورة المائدة ١١٦-١١٧.
٦. سورة المائدة ٧٥.
٧. سورة المائدة ١٧.
٨. سورة مريم ٣٥.

سادساً: أن خلق الإنسان من غير أب ليس بأغرب من خلقه من غير أم وأب؛ كما خلق آدم عليه السلام، قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ المُمْتَرِين فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِين}[1]، وهل أعظم من هذه المباهلة؟!

منشأ عيسى عليه السلام ومعجزاته: ولد رسول الله عيسى عليه السلام ببيت لحم في فلسطين، فخافت أمه عليه أن يُقتل، فاحتملته إلى مصر؛ يُقال: فذلك قول الله تعالى:{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[2]، وأقامت به حتى بلغ اثنتي عشرة سنة، ورجعت به أمه إلى القدس، وقد أعطاه العلم بالغيوب، وإبراء الأسقام، وظهرت عليه كرامات ومعجزات باهرات خارقات في حال صغره؛ ومنها:

أولاً: يُكلم الناس في المهد: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلا وَمِنْ الصَّالِحِينَ}[3].

ثانياً: يحيي الموتى ويبرئ الأعمى والأبرص بإذن الله؛ قال تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوتَى بِإِذْنِي}[4]، فجعلوا يعجبون منه، وفشا أمره.

كتبه ودعوته: أنزل عليه الإنجيل؛ قال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[5]، وقال تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[6]، ودعا قومه من بني إسرائيل إلى الله؛ إذ قال: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}[7]، وقال: {وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ}[8]؛ ذلك أن بني إسرائيل هموا به، ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه؛ قال تعالى: {وَمَنْ

---

١. سورة آل عمران ٥٩-٦١.
٢. سورة المؤمنون ٥٠.
٣. سورة آل عمران ٤٦.
٤. سورة المائدة ١١٠.
٥. سورة المائدة ٤٦.
٦. آل عمران ٤٨-٤٩.
٧. سورة الصف ٦.
٨. سورة آل عمران ٥٠-٥٤.

أظلَمُ مِمَّنِ افترَى عَلى اللهِ الكذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إلى الإسْلام وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطفِؤُوا نُورَ اللهِ بأفوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلوْ كرِهَ الكافِرُونَ}[1].

لقد أنقذه الله منهم، ورفعه إليه، وألقى شبهه على أحد أصحابه، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وهم في ذلك غالطون، وللحق مكابرون؛ قال تعالى: {إذ قالَ اللهُ يَا عِيسَى إنّي مُتوَفّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ وَمُطهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كفرُوا وَجَاعِلُ الذِينَ اتّبَعُوكَ فوْقَ الذِينَ كفرُوا إلى يَوْم القِيَامَةِ ثمَّ إليَّ مَرْجعُكمْ فأحْكمُ بَيْنكمْ فِيمَا كُنتمْ فِيهِ تختلِفُونَ}[2]، وقال تعالى: {وَقوْلِهِمْ إنَّا قتلنا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قتلوهُ وَمَا صَلبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لهُمْ وَإنَّ الذِينَ اختلفُوا فِيهِ لفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لهُم بهِ مِنْ عِلم إلاَّ اتّبَاعَ الظنِّ وَمَا قتلوهُ يَقِينًا}[3].

يقال[4]: إن عيسى عليه السلام مكث في قومه ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك، وليس في القرآن نص على عمره، والله أعلم به.

١. سورة الصف ٧-٨.
٢. سورة آل عمران ٥٥.
٣. سورة النساء ١٥٧.
٤. ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج٢، ص ٩٥.

خاتم النبيين
رسول الله محمد ﷺ

رسول الله، محمد بن عبدالله ﷺ، خاتم النبيين، سيد ولد آدم عليه السلام، ومن أسمائه أحمد، والماحي؛ أي الذي محا الله به الكفر، والعاقب الذي لا نبي بعده، ويكنى بأبي القاسم وبأبي إبراهيم، وقد ورد اسمه الشريف في القرآن بوجوه متعددة؛ فسمّاه محمداً أربع مرات؛ في سور آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وفي القرآن سورة محمد، وورد اسمه أحمد في سورة الصف، كما في التوراة والإنجيل؛ قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ}[١]، ومثله {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}[٢].

وصف رسول الله ﷺ بصفات جليلة كثيرة؛ منها الآيات الآتية: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}[٣]، {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}[٤]، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}[٥]، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[٦]، {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[٧]، {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[٨]، {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}[٩]، {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[١٠]، وكذا آيات سور الشرح والضحى، وبعض آيات سورة القلم.

ووُصف ﷺ بصفتي الرسالة والنبوة في آيات كثيرة، وقال عن نفسه حين سأله أبو أمامة فقال: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: (دعوة إبراهيم[١١]، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام)[١٢].

١. سورة الأعراف ١٥٧.
٢. الصف ٦.
٣. سورة الجن ١٩.
٤. سورة الجمعة ٢.
٥. سورة الأحزاب ٤٥-٤٦.
٦. سورة التوبة ١٢٨.
٧. سورة القلم ٤.
٨. سورة الأحزاب ٤٠.
٩. سورة آل عمران ١٦٤.
١٠. سورة الأعراف ١٥٧.
١١. {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ } سورة البقرة ١٢٩.
١٢. أخرجه أحمد وابن سعد والطبراني وابن مردويه والبيهقي.

ولادته ونشأته: ولد في شهر ربيع الأول عام الفيل، قبل الهجرة بنحو ثلاث وخمسين سنة، وتوفي والده عبد الله قبل ولادته، فهو ﷺ يتيم من مولده؛ قال الله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}[1] ، ولكنه وُلد ومعه نور، وبقي مع أمه آمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جدّه عبد المطلب، فلما حضرته الوفاة أوصى أبا طالب بحفظه وحياطته، وخرج معه إلى الشام وهو صغير.

زواجه: لمّا بلغ عمره خمساً وعشرين عاماً تزوج بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فولدت له القاسم ثم الطيب ثم الطاهر ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم، أما أولاده فماتوا قبل البعثة، وأما بناته فأدركن ودخلن في الإسلام.

الوحي: أوحي إليه وهو بغار حراء، وقد مضى من عمره أربعون سنة، وكان أول النازل عليه من القرآن قول الله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[2]، فخشي على نفسه، فأخبر خديجة رضي الله عنها وهو يرجف فؤاده؛ قال: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلا، أَبْشِرْ؛ فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ الله أَبَدا؛ وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحَدِيث، وَتَحْمِلُ الكلّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقّ؛ وأتاه الوحي وهو متدثر بثيابه؛ فأنزل الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}[3].

دعوته: أنزل الله تعالى على رسوله: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[4]، بدأ أهل مكة على دين الإسلام يتوافدون، وعاداه آخرون، وأمّنه الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[5]، وحاولوا قتل النبي ﷺ، فحماه الله تعالى، ولكنه لاقى وأتباعه من المشركين الأذى الشديد، لقد عاند أكثرهم، {وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً}[6]، واتهموه بالشعر والسحر، وقد أخبر الله عن جهلهم وقلة عقلهم؛ فقال تعالى:{بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ}[7]، وقال لرسوله ﷺ: {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً}[8]، وأصرّ المشركون؛ فهددهم الرسول ﷺ كما أمره الله؛ {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ

---

١. سورة الضحى ٦.
٢. سورة القلم ١-٥.
٣. سورة المدثر ١-٥.
٤. سورة الشعراء ٢١٤-٢٢٠.
٥. سورة المائدة ٦٧.
٦. سورة الإسراء ٩٠-٩٣.
٧. سورة الأنبياء ٥.
٨. سورة الإسراء ٤٨.

وَثمُودَ}[1]، وأدركت قريش أن لا سبيل إلى الرسول ومن معه؛ فأجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، وعظمت الفتنة، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وكذبوا الرسول ﷺ، فقال الله سبحانه له: {وَلقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قبْلِكَ فصَبَرُواْ عَلى مَا كُذِّبُواْ وَأوذُواْ حَتَّى أتاهُمْ نصْرُنا وَلا مُبَدِّلَ لِكلِمَاتِ اللهِ وَلقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ المُرْسَلِينَ}[2].

الإسراء والمعراج: بعد عشر سنين من البعثة، وقبل الهجرة بسنة أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس؛ قال تعالى: {سُبْحَانَ الذِي أسْرَى بعَبْدِهِ ليْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقصَى الذِي بَارَكْنا حَوْلهُ لِنرِيَهُ مِنْ آيَاتِنا إنهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[3]؛ وكان الإسراء على ظهر البراق، ثم صعد إلى السماء، ورأى من الآيات الكبرى، ورأى جبريل؛ قال تعالى: {وَلقدْ رَآهُ نزْلة أخْرَى عِندَ سِدْرَةِ المُنتهَى عِندَهَا جَنَّة المَأوَى إذ يَغشَى السِّدْرَة مَا يَغشَى مَا زَاغ البَصَرُ وَمَا طغى لقدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى}[4] ، ورجع فأخبر الناس، وهم بين مصدّق ومكذب، فوصف لهم بيت المقدس ولم يكن رآه قبلاً، كما وصف بعيراً لهم في الطريق، فأقام عليهم الحجة، واستنارت لهم المحجة؛ فآمن من آمن على يقين، وكفر من كفر عناداً وإنكاراً بلا دليل؛ قال تعالى: {وَمَا جَعَلنا الرُّؤيَا التِي أرَيْناكَ إلاَّ فِتنة لِّلنَّاسِ}[5].

انشقاق القمر: سأل أهل مكة رسول الله آية تدل على صدق ما جاء به؛ فدعا الله فانشق القمر، وأمسى قد سلب نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقعان؛ قال تعالى: {اقترَبَتِ السَّاعَة وَانشَقَّ القمَرُ وَإن يَرَوْا آيَة يُعْرِضُوا وَيَقولوا سِحْرٌ مُّسْتمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أمْرٍ مُّسْتقِرٌّ وَلقدْ جَاءهُم مِّنَ الأنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَة بَالِغة فمَا تُغْنِ النُّذُرُ}[6]، ولم يؤمن أكثر أهل مكة وهم يرون الآية، فحاول إيجاد النصرة في الطائف، ولكنهم عذبوه، وأدموا قدميه الشريفتين.

استماع الجن للقرآن: بعدما رجع ﷺ من الطائف واساه الله تعالى باستماع الجن لقراءته؛ قال تعالى: {وَإذ صَرَفنا إليْكَ نفرًا مِّنَ الجِنِّ يَسْتمِعُونَ القرْآنَ فلمَّا حَضَرُوهُ قالوا أنصِتوا فلمَّا قضِيَ وَلوْا إلى قوْمِهِم مُّنذِرِينَ}[7].

الهجرة إلى المدينة المنورة: شجع النبي ﷺ ما رأى من تأييد بعض الجن له، وبدأ يعرض نفسه الكريمة على القبائل، ويلتقي الوفود التي تجتمع في موسم الحج؛ فالتقى ببعض الأنصار في الحج، فأسلموا، وأرسل معهم مصعب بن عمير ﷺ معلماً؛ ليكون أول سفير في الإسلام، ورجعوا في العام المقبل، وهم اثنا عشر رجلاً، فبايعوه بيعة العقبة الأولى، ثم رجع مصعب ﷺ ومعه قريب من ثلاثة وسبعين رجلاً ومعهم امرأتان، فبايعوه بمنى بيعة العقبة الثانية؛ فتأيد دين الله بالأنصار، ومهّد داراً للهجرة، واشتد أذى أهل مكة على المؤمنين، فعلمه الله دعاءً؛ فدعا رسول الله ﷺ به؛ قال تعالى: {وَقل رَّبِّ أدْخِلنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي

---

١. سورة فصلت ١٣.
٢. سورة الأنعام ٣٤.
٣. سورة الإسراء ١.
٤. سورة النجم ١٣-١٨.
٥. سورة الإسراء ٦٠.
٦. سورة القمر ١-٥.
٧. سورة الأحقاف ٢٩.

مِن لَدُنكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}[١]، فأذن الله تعالى له بالهجرة؛ فقال: (رَأَيْتُ فِي المَنَام أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي[٢] إِلَى أَنَّهَا يَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ، يَثْرِبُ)[٣]، وخرج المسلمون؛ ونزل قوله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}[٤]، وبدأت وفود المهاجرين تقبل على المدينة، ويستقبلهم الأنصار بالحفاوة؛ ووصف الله المهاجرين بالصدق والأنصار بالفلاح قال تعالى: {لِلْفُقَرَاء المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ}[٥]، وتجمّع الكفار وتألبوا على رسول الله ﷺ لمّا هم بالهجرة؛ قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ}[٦]، وخرج من بين أيديهم، وهم ينظرون، ولا يشعرون، ويحثو على رؤوسهم التراب ويقرأ: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ}[٧]، وحفظه ربه في طريق الهجرة والأعداء يتبعونه، ويتوعدون، ويدخل الغار الصغير، وهم بالباب ولا يرونه، ونجّاه الله، ووعده الله بالنصر؛ ووصف ذلك بقوله تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٨]، ووصل المدينة المنورة، واستقبله المهاجرون والأنصار بالحفاوة والتبجيل، وهو أحرى بهم، وبنى رسول الله مسجد قباء، ثم المسجد النبوي، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وجُعل العام الذي كانت فيه بداية للتاريخ.

تحويل القبلة: كان رسول الله ﷺ إذا صلى في مكة المكرمة جمع بين الكعبة وبيت المقدس؛ فيتجه إليهما جميعاً، لحبه للمسجد الحرام، وصعب عليه ذلك في المدينة المنورة؛ وفي السنة الثانية بعد الهجرة إذن الله له بالاتجاه جهة المسجد الحرام في مكة؛ قال الله سبحانه وتعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[٩]، فاطمأن الرسول ﷺ.

---

١. سورة الإسراء ٨٠.
٢. وَهَلَ إلى الشيء يهل وهْلا: إذا ذهب وهمه إليه.
٣. متفق عليه.
٤. سورة الحج ٣٩-٤٠.
٥. سورة الحشر ٨-٩.
٦. سورة الأنفال ٣٠.
٧. سورة يس ٩.
٨. سورة التوبة ٤٠.
٩. سورة البقرة ١٤٤.

غزوة بدر العظمى: سمع رسول الله ﷺ بأن أبا سفيان رجع مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة؛ فيها أموال وتجارة، فأراد رسول الله ﷺ أن ينفلها المسلمين، كي يعوضهم عمّا ذهب من أموالهم بمكة، فخرج رسول الله ﷺ إلى بدر ومعه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، فإن لم تكن القافلة كان القتال والنصر، وكره بعضهم القتال، وأكثرهم سامعون مطيعون؛ قال تعالى: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}[1]، وعلم أبو سفيان بخروج الرسول ﷺ فأرسل يخبر أهل مكة، وانحاش بالقافلة نحو البحر، وأصرّ المشركون على حرب النبي وأصحابه؛ فخرجوا إلى بدر في ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، ووصلوا العدوة[2] البعيدة من الوادي الذي يفصل بينهم وبين المسلمين، والمسلمون في العدوة القريبة من الوادي، وثبّت الله المؤمنين، ونزّل عليهم من السماء ماءً ليطهرهم به، ويثبت أقدامهم، وأيدتهم الملائكة، فشجعت قلوبهم، وأنزل النصر عليهم؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[3]، والقصة في سورة الأنفال الشريفة.

غزوة أحد في السنة الثالثة: أراد المشركون الانتقام لما حلّ بهم في بدر، وتعاضدوا على ذلك؛ وجمعوا أموالهم؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}[4]، فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها، وبلغ عدد المشركين ثلاثة الآف، بينما لم يزد عدد المؤمنين عن ألف، ونزلوا بأحد، ورجع المنافقون، ولم يبق إلا المؤمنون؛ قال تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[5].

والتقى الجيشان، وفرّ المشركون، وكان النبي ﷺ قد جعل الرماة على الجبل؛ ليحموا ظهر المسلمين، وأمرهم أن يحموا ظهورهم، وأن لا يبرحوا مكانهم؛ سواء ظهر المسلمون أم ظهر المشركون، فظنوا أن المشركين فروا وغلبوا، فدخلوا في العسكر ينهبون، فلما أخلّ الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع، وقتلوا من المسلمين كثيراً، وثبت رسول الله ﷺ ينادي أصحابه ويدعوهم في أخراهم فرجعوا بعد أن فرّوا، وجال المسلمون نحو الجبل، ففرّ المشركون؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا

---

١. سورة الأنفال ٥-٧.
٢. العدوة: جانب الوادي.
٣. سورة آل عمران ١٢٣.
٤. سورة الأنفال ٣٦.
٥. سورة آل عمران ١٢١-١٢٢.

فاتكُمْ وَلاَ مَا أصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تعْمَلُونَ}[1]، ولقي الرسول ﷺ الكثير من المشركين في هذه الغزوة؛ حتى شجوا وجهه، وكسروا رباعيته من أسنانه، وسال دمه على وجهه الشريف، ليكون اختباراً للمؤمنين؛ قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ}[2]، وسمى الله تعالى يوم أحد قرحاً، ولكنه بدل القرح الذي ألم بالمشركين يوم بدر؛ قال تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[3].

غزوة بني النضير في السنة الرابعة: دخل رسول الله ﷺ ديار يهود بني النضير، وجلس إلى جدار، أسند ظهره إليه، فوجدها اليهود فرصة للقضاء على رسول الإسلام ﷺ، فأصعدوا رجلاً ليلقي صخرة عليه، فأخبره الوحي، فقام راجعاً إلى المدينة، وأمر الناس بالخروج إليهم، فحاصروهم خمس عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا أن يجليهم، ويكف عن دمائهم، فوافق رسول الله ﷺ رحمة منه، ورغبة في إيمانهم، وقد وصفت قصتهم في سورة الحشر بقوله تعالى: {سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأبْصَارِ وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[4].

غزوة الأحزاب (الخندق) في السنة الخامسة: تحزّب نفر من اليهود مع نظائرهم كفار قريش وبعض قبائل العرب؛ وتجمّعوا ونشطوا ليستأصلوا المسلمين في المدينة المنورة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة، كما أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه، وشارك المسلمون، وتسلل بعض المنافقين؛ قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[5]، وأقبلت قريش ومن معها من الأحابيش في عشرة آلاف، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، فضاق الحال بالمسلمين؛ قال تعالى: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا}[6]، فدعا رسول الله

---

١. سورة آل عمران ١٥٢-١٥٣.
٢. سورة آل عمران ١٤٤.
٣. سورة آل عمران ١٤٠.
٤. سورة الحشر ١-٤.
٥. سورة النـور ٦٢-٦٣.
٦. سورة الأحزاب ١٠.

ﷺ عليهم، فصرف الله الأعداء بالريح الشديدة، التي كفأت القدور، وزلزلت الخيام، وشاركت الملائكة في دبّ الرعب في القلوب؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}[1]، وكفى الله المؤمنين القتال؛ لمّا صبروا ورابطوا؛ {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}[2]، ونصر الله المؤمنين، واستشهد من المسلمين ثلاثة فقط، وقتل من المشركين ثلاثة، وفرّوا هاربين.

غزوة بني قريظة في السنة الخامسة: كان بين الرسول ﷺ وبين اليهود عهود، فنقضوها بممالأتهم الأحزاب، ولمّا فرّ الكفار قال الرسول ﷺ: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[3]، فما أجدى ذلك الغدر عن قريظة شيئاً، وبانت صفقتهم الخاسرة مع قريش؛ وحاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم عليهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم ونساؤهم؛ قال تعالى: {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا}[4].

فتح مكة في السنة الثامنة: كانت غزوة الفتح الأعظم تكريماً للنبي ﷺ، وبعد ثماني سنوات من الهجرة الشريفة، وفي القرآن سورة كاملة هي سورة النصر؛ تصوّر دخول الناس في دين الله أفواجاً، وقال سبحانه: {لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[5].

غزوة حنين في السنة الثامنة: لمّا سمعت هوازن بفتح مكة اجتمعت مع ثقيف وبعض القبائل وساروا إلى رسول الله ﷺ، وسمع رسول الله ﷺ بخبرهم، والتقى الجيشان، والمسلمون تعجبهم كثرتهم، فحمل المشركون على المسلمين هجمة شرسة ضعضعت المسلمين، فنزل الرسول ﷺ وهو متيقن نصر الله وحده، غير مكترث بقلة أو بكثرة فهزموهم؛ قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}[6].

غزوة تبوك في السنة التاسعة: أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بقتال الكفار حتى يؤمنوا أو يدفعوا الجزية؛ قال تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[7]، فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس، وأولى الناس بالدعوة، فغزا تبوك، وكان الحرُّ شديداً، فثبط المنافقون

١. سورة الأحزاب ٩.
٢. سورة الأحزاب ٢٢.
٣. صحيح البخاري، كتاب المغازي رقم ٦٧.
٤. سورة الأحزاب ٢٦.
٥. سورة الحديد ١٠.
٦. سورة التوبة ٢٥-٢٦.
٧. سورة التوبة ٢٩.

بعضهم بعضاً، {وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}[1]، وتخلف آخرون، فعاتب الله المتخلفين، ووبّخ المنافقين والمقصرين أشدّ التوبيخ، وفضحهم في سورة التوبة أشد الفضيحة، وأمر المؤمنين بالنفر في كل حال؛ فقال تعالى: {انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[2]، فتجمّع ثلاثون ألفاً من الموحدين، وسار بهم متجهاً صوب تبوك، ففرّت جيوش الروم، ونصر الله تعالى رسوله بالرعب من مسيرة شهر، وتاب الله على البكائين المعذورين؛ قال تعالى: {وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}[3].

عام الوفود: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ودانت العرب بدين الإسلام بدأت تفد الوفود على الإسلام أفواجاً؛ يضربون إليه من كل وجه؛ قال تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}، فوفد بنو تميم، وبنو عبد القيس، وبنو حنيفة، وأهل نجران، وبنو عامر، وطيء وغيرهم، حتى زاد عدد الوفود عن خمسين وفداً.

حجة الوداع في سنة عشر: انطلق رسول الله ﷺ من المدينة المنورة، ولمّا وقف بعرفة خطب الخطبة الجامعة في يوم الحج الأكبر، ونزل عليه قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}[4]، ورجع الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة.

وفاة النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة: استهلت هذه السنة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة النبوية مرجعه من حجة الوداع، ومنها نقله الله تعالى من الدار الفانية إلى النعيم الأبدي؛ في محلة عالية رفيعة، ودرجة في الجنة لا أعلى ولا أسنى؛ كما قال تعالى: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}[5]، وذلك بعد ما أكمل أداء الرسالة، وقد أنذرت الآيات القرآنية بوفاة الرسول ﷺ؛ قال

---

١. سورة التوبة ٨١.
٢. سورة التوبة ٤١.
٣. سورة التوبة ٨٦-٩٣.
٤. سورة المائدة ٣.
٥. سورة الضحى ٤-٥.

تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}[1]، وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}[2]، وقال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}[3]، وهذه الآية هي التي تلاها الصديق ﵁ يوم وفاة الرسول ﷺ، فلما سمعها الناس فكأنهم لم يسمعوها من قبل.

١. سورة الزمر ٣٠.
٢. سورة الأنبياء ٣٤.
٣. سورة آل عمران ١٤٤.

خاتمة الكتاب

هذا ما تيسر لي جمعه وترتيبه، ليسهل الوصول إليه بأسهل الطرق وأيسرها؛ فقد استعرضت سير الأنبياء المذكورين في القرآن بأسمائهم والرسالة إليهم صراحة فقط، وهم الذين اتفقت الأمة على أنهم أنبياء، واتبعت التسلسل الزمني الذي ورد في البداية والنهاية لابن كثير، والمسلمون يعلمون أن بعض الأنبياء ذكر في القرآن بوصفه دون اسمه؛ كما في قوله تعالى: {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}[1]، وكذا الفتى صاحب موسى عليه السلام، وهو يوشع ابن نون عليه السلام، وسمّاه الله فتاه لملازمته إياه في العلم والخدمة، ومنهم من ذُكر باسمه دون وصفه بالرسالة، كلقمان عليه السلام، وهؤلاء مُختلف فيهم، وعدم ذكرهم هنا لا يُنقص من قدرهم ومكانتهم في قلوب المؤمنين، لكنه سبيل سلكته، وأنا مطمئن إليه؛ لأجل الاقتصار على الأنبياء عليهم السلام الذين أتفق عليهم؛ اسماً ورسماً؛ فإن أصبت فبتوفيق الله، وإن أخطأت فمن نفسي ونقصي.

والحمد لله ربّ العالمين

١. سورة يس ٢٠.

الفهرس

تمّ بحمد الله